

حتى لو اتفقوا عليها يختلفون فى الوسائل والمناهج الموصلة للأهداف، ويختلفون فى المفاهيم المشتركة التى تحكم هذه الحركة . . ويختلفون على الأشخاص أنفسهم . . فكيف تجمع الناس على هذا كله؟ إنه ليس من السهل . . ولكن نحن لا نرى بأساً من تعدد الجماعات العاملة للإسلام، والحركات التى تعمل فى ساحته، بشرط أن يكون بينها قدر من التنسيق والتفاهم، والتعاون، بدل أن يحاول بعضها أن يهدم الآخر ليبنى نفسه، تحاول أن يكون تعاون بينها فى الأمور الايجابية وأن يقف الجميع صفاً واحداً فى القضايا المصيرية مثل قضية الشيشان الآن . البوسنة والهرسك، وكوسوفو من قبل، وقضية فلسطين القضية المحورية والمركزية الأولى للمسلمين، قضية أولى القبلتين والمسجد الأقصى . . هذا ما أراه بالنسبة للصحة الاسلامية ووحدة فصائلها المختلفة .

هل تحولت الجماعة إلى تاريخ

* باعتبار جماعة الإخوان المسلمين الجماعة الأقدم فى تاريخ العمل للإسلام فى العصر الحديث، هل يمكن اعتبارها تاريخاً الآن بحكم واقعها العملى فى مصر وفى البلدان الأخرى، وسواء أكان مضيئاً عليها أم لا، لكنها لم تقدم بعد رسائل البناء سوى المفكرين الذين هم غير مرتبطين معها برباط تنظيمى . . والسؤال الآن: أين جماعة الإخوان المسلمين الآن؟

– جماعة الإخوان المسلمين توجد فى أكثر من (٧٠) قطراً، من أقطار العالم .

* ما هى مظاهر هذا الوجود؟

– هناك وجود علنى فى الأردن (جبهة العمل الإسلامى)، فى اليمن (التجمع والإصلاح) فى اندونيسيا (حزب العدالة) . . فى بعض البلدان لها وجود عملى، وفى الآخر لها وجود ثقافى أو اقتصادى أو خيرى . . ادعاء بأن الإخوان المسلمين صارت تاريخاً ادعاء غير صحيح، ومن يقول ذلك لا يعرف شيئاً عن الأخوان، فالإخوان حركة إيجابية، وحركة متوازنة، وحركة شاملة، تشبع النهم الروحى عند الشباب المسلم، وتملاً كثيراً من الفراغ عندهم .

وما ذكرت عن عدم تقديمها شيئاً بعد رسائل البنا ليس صحيحاً، فكل إنتاجنا هذا هو إنتاج للأخوان المسلمين، وإن كنت غير مرتبط بربط تنظيمي، لكنني في خط الاخوان، وفي هذا المنهج الشمولي المتوازن، وما أنتجه البنا، وما أنتجه سيد قطب، وما أنتجه حسن الترابي، ومصطفى السباعي، وعبد القادر عودة، هناك عشرات في تراث الاخوان .

وهناك أناس ليسوا من الاخوان لكنهم في هذا الخط مثل إنتاج د. محمد عمارة ود. كمال أبو المجد، فهمي هويدي، عادل حسين . وهؤلاء يمشون في هذا الخط ويصبون في هذا النهر الكبير.

فالاخوان لم تعد الآن جماعة محدودة، أصبحت خطأ اسلامياً، وتياراً عاماً، فكل من يتبع هذا التيار وينادي بالاسلام بوصفه منهاجاً للحياة ويقف في مواجهة المناهج الأخرى الليبرالية أو الماركسية، ويتميز بشموله ووضوحه وربانيته وإنسانيته وأخلاقيته وتوازنه أرى أن ذلك تيار الاخوان فليس الاخوان تاريخاً.

طروحات القرضاوى

* ما هو موقف جماعة الاخوان من فكر د. القرضاوى وطروحاته؟

– تبني الاخوان مقولاتي في السنوات الأخيرة حول التعددية، وكانت مرفوضة في أول الأمر، خاصة من خلال كلام الأستاذ البنا بأن الإسلام لا يقر الحزبية . . كان يتحدث عن أحزاب زمنه، وكيف فرقت الأمة واستفاد الاستعمار من هذا التمزق . . لكنهم أقروا التعددية . . وصدر بيان منهم بذلك . وحول المرأة أيضاً، تبنا القضايا التي تعطي المرأة حق الانتخاب وحق الترشيح وهذا تطور، استفاد الاخوان من هذا التيار وأفكاره .

* تعتبر فتاوى القرضاوى علامة بارزة في الفكر الإسلامى فى القرن العشرين ما هو المنظار الذى يحكم رؤيتكم فى وسطية الفتوى التى صارت مقبولة ومحل ثقة من جماهير العالم الاسلامى فى كل مكان؟

– فى فتاوى أحمد الله أنى أنظر الى الاسلام بعين، والى العصر بعين أخرى،

الى الإسلام وأصوله وتراثه، والعصر وتياراته ومشكلاته، فى نظرى الى الإسلام لا يهمنى أن أرضى أطرافاً معينة فلا يهمنى أن أرضى أصحاب السلطان، كما يفعل بعض الناس يفتون فتاوى بما تريده السلطة، أحمد الله أنى لم أفعل هذا أبداً، وقد يتفق رأى مع بعض السلطات أو تستفيد منه وهذا لا يضيرنى كما لا يهمنى أن أرضى العوام، بعض الناس لا ترضى السلطات لكنها تحاول ارضاء الجماهير، تبحث عن أهواء الناس فإذا كان الناس يحبون التشدد يزايدون على التشدد، وهذا للأسف ما يقع فيه بعض الناس، وهذا أخطر، أن يفتى الذى يتبع أهواء العوام لارضائهم والمزايدة على ما يحبون: هذا أشد خطراً ممن يتبع أهواء السلاطين.

* ولماذا هذه الخطورة؟

– لأن الذى يتبع أهواء السلاطين سرعان ما يكتشف ويتبين زيفه، إنما الذى يتبع أهواء العامة يصعب أن يكشف إلا عند الخاصة وذوى البصيرة من الناس. . أنا لا أتجه فى فتاوى إلا أن تكون الفتوى مبنية على مراعاة النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للشريعة، فبعض الناس يتمسك بالنص الجزئى فقط ويغفل مقصد الشرع فيقع فى الأخطاء، والبعض يقول أمسك بالمقصد ولا علاقة لى بالنصوص مثل معظم الذين يدعون التجديد من العلمانيين. يقولون ان مهمتنا أن نتمسك بالروح الإسلامية ونهمل النص: هذا لا يجوز فهذه النصوص لم تنزل عبثاً، بل لها ضوابط لا بد منها، فأنا أحاول أن أوازن بين الأمرين.

* هل هناك قضية محددة يمكن أن تكون نموذجاً لفتواك التى تراعى فيها

النص الجزئى والمقصد الكلى للشريعة؟

– أحدث هذه القضايا هى قضية رؤية الهلال فى رمضان وفى العيد وهذا كتبته فى كتابى « كيف نتعامل مع السنة »؟ أنا أرى أن هناك مقاصد ثابتة للشرع ووسائل متغيرة، يجب أن نتمسك بالمقاصد الثابتة، والوسائل يمكن أن تتغير، فالشرع قد قال ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ فجهاد

الأعداء هو المقصد، ورباط الخيل هو الوسيلة، فإذا كان هناك الآن رباط الدبابات ورباط المدرعات فهو قد أصبح رباط الخيل فى عصرنا .

فالرسول صلى الله عليه وسلم قال : « صوموا الرؤيته وافطروا الرؤيته » لأن الرؤية كانت السبب الوحيد لمعرفة الشهر، الوسيلة الوحيدة، الآن أصبح عندنا وسائل أكثر قدرة على معرفة بداية الشهر ونهايته وهو الحساب الفلكى ، فلماذا لا نستخدمها، كيف أترك الأقوى وأستخدم الأضعف . . هناك من العلماء من قال : نأخذ بالحساب الفلكى الشيخ أحمد شاکر والشيخ مصطفى الزرقا رحمهما الله، وقد عرضت على مجمع الفقه رأيا هو أنه لا مانع ان نأخذ بالرؤية ونجعل الرؤية البصرية الأساس فى اعتماد إثبات الشهر، ولكن بشرط الا يقول الحساب العلمى الفلكى ان الرؤية مستحيلة، فإذا قال إن الرؤية مستحيلة فلا آخذ بشهادة الشهود . . مثلما قال الحساب فى ليلة العيد . . قال : رؤية الهلال ليلة الجمعة مستحيلة فى أى مكان فى العالم . . ولكن . .

فإذا اخذنا بهذه الفتوى - وهى فتوى قديمة قال بها الامام تقى الدين السبكى قال : إن القاضى إذا جاءه شاهد أو شاهدان وشهد أنهما رأيا الهلال والحساب يقول بعدم إمكان ذلك، على القاضى أن يرد الشهود، لأن شهادة الشهود ظنية والحساب قطعى، والظنى لا يقاوم القطعى فضلا عن أن يقدم عليه . . وهذا عرضته على مجمع الفقه الاسلامى لكنهم للأسف لم يوافقوا عليه، قام من قال : لو كان الحساب قطعيا كما يقول الشيخ القرضاوى لانتهدت القضية، لكن من قال إن الحساب قطعى، إنه ظنى بدليل أن الحاسبين يختلفون بعضهم مع بعض، وهو يقصد بالحاسبين جماعة الرزنامات مثل العجبرى فى الكويت وفى قطر وأم القرى، وأنا لا أقصد ذلك الحساب، وإنما أقصد الحساب العلمى الذى على اساسه وصل الانسان الى القمر، وحاول أن يذهب الى المريخ والذى قال لنا إن كسوف الشمس سيقع فى يوم كذا، والدقيقة كذا، والثانية كذا . . وقبل أن يقع بسنين، ويقع كما أخبرنا تماما .

وفى البلد الفلانى يكون كليا، وفى الآخر جزئيا، وفى الثالث حلقيا كما أخبر .

هذا هو أساس فتاواى . . وأحمد الله أن المجلس الأوربى للإفتاء والبحوث
تبني هذا الرأى وأصدر فتوى جماعية باعتماد الرؤية بشرط ألا تخالف الحساب
الفلكى ولا يقول الحساب إن الرؤية غير ممكنة .

٤٠ عاما فى قطر

* ما مدى تدخل قطر فى فتاواك وأنت تقيم بها منذ ما يقرب من أربعين
عاما؟

- لم يتدخل أحد فى قطر فى فتاواى فى يوم ما، وهذا يجب ان يذكر
للتاريخ ولم يقل لى أحد يوما من الأيام: أنت تشددت فى الخطبة الفلانية أو فى
الفتوى الفلانية أو برنامج هدى الاسلام (تلفزيون قطر) أو الشريعة والحياة (قناة
الجزيرة) لم يحدث هذا طوال وجودى فى قطر.

حتى أننى كنت أخطب أحيانا بعض الخطب النارية ثم أسافر عدة أسابيع
فيقول بعض الناس إنهم منعوا القرضاوى من الخطابة . . مثل الخطبة الأخيرة . . ثم
أعود مرة اخرى فيتبين أنه لم يمنعنى أحد .

* ولم يلفت أحد نظرك من بعيد الى شىء من شدة الفتوى؟

- لم يلفت أحد نظرى لا من قريب أو من بعيد، بالتصريح ولا بالتلميح
إلى شىء من هذا، . . . أنا حر نفسى . . أنا الذى أراعى الأمور أيضا، فلست
أحمق بحيث أقول أشياء لا تليق أو تورط . . أزن الأمور بحكمة وميزان لكن
أقول الحق دائما .

* لكن بعض الناس خاصة السفراء ينزعجون من بعض الخطب والفتاوى؟

- بالفعل، بعض السفراء يشتكون الى سمو أمير قطر حفظه الله، لكن
حقيقة - أشكر الله لأمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى - يردهم ردا
حسنا ويقول لهم: نحن لا نتدخل فى شؤون علمائنا وعرفهم هذا، والحمد لله
علاقتى بالأمير وبالناس علاقة طيبة قائمة على المودة والتقدير . . أحمد الله عز
وجل على هذا .

* ترى ما هى الأسباب التى أدت لرؤيتكم باستبداد جمال عبد الناصر؟

- مما أذكره أن الثورة فى بدايتها أنشأت جريدة الجمهورية، كان يكتب فيها قادة

الثورة كلمة كل يوم، مثل السادات وصلاح سالم، وما أذكره أن عبد الناصر كتب كلمة قال فيها: لماذا يبدأ الناس صالحين ثم ينقلبون مستبدين ومثل لذلك بالملك فاروق الذي كان الناس يحبونه ويهتفون بحياة الملك الصالح، ومصطفى النحاس بدأ رجلاً صالحاً والتف حوله المصريون. . وذكر عدداً من الشخصيات: بدأت صالحاً وانتهت بنوع من الاستبداد والطغيان، ثم ذكر وقال: أظن أن السبب في ذلك يرجع إلى ما يقوله المصريون وهو الشعب نفسه هو الذي يمكن هؤلاء، فالشعب عندنا يقول (المال السائب يُعلم السرقة) والحكمة تقول «الثقة المطلقة تُعلم الطغيان».

فيبدو أن المال السائب والثقة المطلقة التي أعطيت لعبد الناصر هي التي دفعت به إلى الاستبداد والطغيان.

* لكن حب الجماهير الغفيرة من مختلف الفصائل لعبد الناصر، وخروج أكثر من خمسة ملايين مسلم مصري في مصر بالذات وغيرهم في الدول العربية في جنازته. . لو كان طاغياً إلى هذا الحد ومستبداً فلماذا حبته الجماهير والجماهير ليس عليها سيف مسلط، ليست مجبورة للخروج للهِتاف بحياة الزعيم؟

– لا شك أنه كانت هناك جماهير كثيرة تحبه وتتعاطف معه، والشعب المصري شعب عاطفي، وعبد الناصر مات كأنه أخذ، يقول المصريون (اتأخذ غدر) مات فجأة، فالناس قد تأثروا بهذا، ومن رأيي أن هبة الشعب التي يقولون عليها ٩ يونيو، كانت تأثيراً عاطفياً من الناس أن عبد الناصر ظهر بنفسه وقال: أنا أتحمل المسؤولية كاملة بصوت فيه الحزن والتأثر، صحيح أنه كانت هناك خطة لإخراج الجماهير، إنما آخرون كثيرون خرجوا تلقائياً. . هذا التأثير العاطفي عند الشعب المصري لا ينكره أحد.

* شاركت مؤخراً في المؤتمر القومي الإسلامي ببيروت كيف تنظر إلى أهمية هذا المؤتمر؟

– بدأ المؤتمر القومي الإسلامي عام ١٩٩٤ وقد حضرت مؤتمره الأول الافتتاحي ببيروت اللجنة التأسيسية، واعتبر عضواً به، لأنني أريد تجميع عناصر

- فلا يستفيد من تفتيت الأمة غير أعدائها، فنحن ننادى كل من فيه خير يجب أن نلتقى به.. ولذلك فقد قلت في هذا اللقاء الافتتاحي: ان هذا المؤتمر هو للمعتدلين من التيارين: من التيار الإسلامي، ومن التيار القومي لأن هناك متشددين في التيار الإسلامي لا يقبلون ذلك، وهناك متشددون أيضا في التيار القومي مثل العلمانيين واللا دينيين لا يقبلون ذلك، إما نحن نجمع المعتدلين.

بل إنني حضرت في بيروت نفسها أيضا مؤتمرا بعد ذلك تحت شعار «مسلمون ومسيحيون من أجل القدس» وحضره كثير من القساوسة ورجال الدين المسيحيين في لبنان وسوريا ومصر وفلسطين والأردن، وحضر الأنبا شنودة فما دام من أجل القدس فلا مانع.. وأنا آخذ بالقاعدة الذهبية التي اتبعتها دائما في تعاملي مع الجماعات الإسلامية المختلفة، والجماعات القومية وغيرها هي هذه القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويسامح بعضا بعضا فيما اختلفنا فيه.

* تقدمت فصائل عدة من الجماعات الإسلامية ومن شباب سابق في الإخوان بطلبات للعمل السياسي من خلال عدد من الأحزاب ورفضت السلطات طلب الجميع. هل يتحول الشباب الإسلامي من العمل السري إلى العمل السياسي كثمرة لتجارب عدة مروا بها وكانت نتيجتها عمليات إجهاض مستمرة للعمل السري؟ وهل هناك قبول لفكرة الديمقراطية الآن لدى الإسلاميين؟

- الحركة الإسلامية كائن حتى يتفاعل مع المجتمع ومع العالم من حوله ويتجاوب مع الأحداث ولا يمكن أن تعيش الحركة في قمم معتزة ما حولها وما يجري من قريب ومن بعيد في عالمها الخاص وفي عالمها العام، ولذلك تتطور الأفكار والرؤى ما بين حين وآخر، وبعض هذه المفاهيم التي كنا نعرضها من سنين مثلا حول مشروعية التعددية في الفكر الإسلامي وفي الفقه، ومشروعية الديمقراطية التي كان بعض الناس يصفها بالكفر، ولا زال بعضهم يردد هذا ويقول الديمقراطية تعنى حكم الشعب والإسلام يعنى حكم الله، وهما متناقضان.. وكم كنا نقول لهم إن الديمقراطية ليس معناها حكم الشعب في مقابل حكم الله، ولكنها تعنى حكم الشعب في مقابلة حكم الفرد المطلق الذي يستبد

بالأمور ولا يدع للشعب فرصة ليعبر عن نفسه ويقول نعم أو لا بحرية ونزاهة فنحمد الله أن بعض الحركات الإسلامية، وهناك عدد منها تبني هذا الرأي وهذا دليل على الحيوية، فمادامت الحركات قادرة على، أن تطور نفسها وأن تغير من رأيها فهذا دليل على التجدد والحيوية كما قلت، لهذا أحیی وأبارك هذا التوجه من الشباب نحو العمل السياسی الديمقراطي، وأرى أنه التوجه الصالح للتعامل مع الحياة المعاصرة ومع المعطيات الفكرية والسياسية والإقليمية والدولية والمحلية.

* وكيف ترون موقف السلطات من هذا التوجه؟

- إنني أطالب السلطات في بلادنا العربية و الإسلامية أن تتجاوب مع هذا التوجه وأن تعطى للإسلاميين الحق في هذا الوجود السياسی .

* لكن القانون القائم يفرض قيام حزب دينی كما أن هناك خشية أن

يطالب المسيحيون بحزب دينی لهم؟

- أي قانون؟ البشر هم الذين يضعونه، في بعض البلاد أجزى هذا، كنت

في اندونيسيا من فترة قريبة، ووجدت هناك أحزابا تتحدث باسم الإسلام منها العدالة، وهو يمثل جماعة الإخوان المسلمين هناك، وهناك أحزاب تمثل المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية الذي كان قد أسسه د. محمد ناصر - رحمه الله، لا مانع من هذا، وفي اليمن حزب التجمع والإصلاح، وتوجهه الإسلامی معروف وفي الأردن حزب جبهة العمل الإسلامی، وفي الجزائر حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ.. والشاذلي بن جديد هو أول رئيس دولة سمح للإسلاميين بأن يكون لهم وجود رسمي على الساحة السياسية، وهو أمر مطلوب بدل أن يعمل هؤلاء في السرايب وتحت الأرض وبعيدا عن الأعين ليظهروا أمام الناس وليعملوا علنا وعلى مرأى ومسمع حتى تنكشف أمورهم فيقال لهم أصبتم أو أخطاتم، ولهذا أطلب بأن نقابل هذا التوجه بتوجه من السلطة لتؤيدهم..

ولماذا نخاف؟ نخاف من الأقباط أن ينشئوا حزبا فلينشئوا حزبا، وأنا أرى

أن هذه الأحزاب الإسلامية يجب أن تتسع لغير المسلمين، وكان من المؤسسين

حزب الوسط د. رفيق حبيب، أنت تعرض مفاهيم في إصلاح المجتمع،

هذه المفاهيم فهو معك سواء كان مسلما أو مسيحيا.

* ألا تمانع أنت أن يكون هناك حزب شيوعي أيضاً؟

- لا مانع فى ذلك وأن يعرض على الناس، إذا كان المجتمع يقبل بالشيوعية فمعنى ذلك أن هناك خللا بالمجتمع ونتوجه للمجتمع ونصلح من وعيه. لأن الحزب يحيا ويموت بالناس، إذا كان له أنصاره وقاعدته الجماهيرية والشعبية يستطيع أن يحيا، وإذا لم يكن له مات بطبيعة الحال..

جهاد العصر

ماذا عن مشروعكم: الإسلام على الانترنت الذى دعوتكم إليه ودشنتم من أجله جمعية البلاغ الثقافية بالدوحة؟

- فى مشروعنا هذا مسلمات متفق عليها، لا يختلف فيها اثنان:

أولهما: ان الإسلام رسالة عالمية بلا ريب، وهذا ثابت فى القرآن المكى فى أكثر من عشر آيات ناصعة البيان، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] إلى غير ذلك من الآيات، وقال الرسول ﷺ: « وكان النبى يبعث إلى أمة خاصة وأنا بعثت إلى الناس كافة » متفق عليه.

ومع هذا قصرنا نحن المسلمين فى تبليغ الأمم رسالة الإسلام، فهناك آلاف الملايين يعيشون ويموتون ولا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وهناك ملايين أخرى تعرف عن الإسلام قشورا مشوهة: عن عقيدته وشريعته وكتابه ورسوله. فماذا فعلنا إزاء ذلك؟ أعتقد أننا مسئولون - إلى حد ما - عن ضلال هذه الأمم، وعلينا أن نجتهد فى إيجاد الوسائل التى تمكننا من إيصال الإسلام إليهم حسب وسعنا.

الثانية: أن الأمة الإسلامية أمه دعوة، ليست أمة منغلقة على نفسها، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وأنا أرجح أن (من) هنا للبيان أو للتجريد، كما نقول: ليكن لى منك الصديق الوفى، أى كن لى الصديق الوفى، والمعنى إذن: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير إلخ.. بدليل قصر

الفلاح عليهم بقوله: (وأولئك هم المفلحون) فهم وحدهم المفلحون، وسعى الأمة كلها إلى الفلاح واجب وجوبا عينيا، ومن استقرأ النصوص القرآنية وجدها تفيد أن كل مسلم داعية، رجلا كان أو امرأة، أقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت ممن اتبع محمدا ﷺ فيجب أن تكون داعية إلى الله وداعية على بصيرة.

الثالثة: أن مضمون الدعوة ثابت ولكن وسائل الدعوة وآلياتها تتغير وتتطور بتطور الحياة ومعارف الإنسان، والواجب علينا ان نستخدم فى دعوتنا أفضل ما انتهى إليه تطور العلم وتقنياته، طبقا لقاعدة: « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ». ولهذا يجب على المسلمين الاستفادة من الطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتلفاز، وخصوصا الإذاعات الموجهة، والقنوات الفضائية وغيرها، فى الدعوة إلى الإسلامى، والتوعية بالإسلام، كما يجب على الأمة استخدام هذه الأداة الجديدة الجبارة (الإنترنت) التى تخترق الأسوار وتجتاز القفار والبحار، لتغزو الأقطار، وتغير الأفكار، وهى صالحة لأن تهدم وأن تبنى وأن تحيى وأن تميت، وأن تزرع الخير أو الشر، فلنستخدمها نحن فى سبيل الحق والخير لا الباطل والشر، ولنجعل منها أداة بناء لا معول هدم.

وقد أكد ذلك أن غيرنا اتخذوا منها منبرا لنشر أديانهم الباطلة، ونحلهم المضلة، وفلسفاتهم المدمرة. كما أن من الناس من اتخذها للحديث عن الإسلام فى أكثر من ٦٠٠ موقع، ومنهم غير مسلمين لا يؤمنون أصلا بالإسلام، ومنهم من ينتمون إلى الإسلام من مبتدعين ومنحرفين، وبعضهم يملك إمكانات هائلة كالفاديانيين، فهؤلاء وأولئك يشوهون الإسلام، ومنهم مسلمون مخلصون ولكن لا يملكون القدرات العلمية ولا الفنية ولا المادية لحسن عرض الإسلام.

دورنا مهم وثقيل

من هذه المسلّمات وجب علينا أن نقوم بهذا الدور الجديد والمهم

والضرورى لخدمة الإسلام على الإنترنت . وقد أصبح علينا فريضة وضرورة :
فريضة توجبها تعاليم الدين ، وضرورة تحتمها تطورات العصر .

قدرنا أن نقوم بهذا الدور ، وأن يكون على الإنترنت موقع إسلامى متميز
موثوق به عند المسلمين وعند غير المسلمين ، قادر على أن يناقش الآخرين ، وأن
يتفوق عليهم . فالمسلم دائما يرنو ويهدف إلى الأحسن لا إلى (الحسن) فقط ،
ولقد قال تعالى فى أكثر من آية فى كتابه ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ولم
يقل : ليبلوكم أيكم ذو عمل حسن .

إننا مطالبون أن نعمل ونجتهد ونبدع :

(أ) على مستوى الإسلام الذى نمثله وندعو إليه ، وهو دين الله الذى لا
دين غيره ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

(ب) وعلى مستوى العصر الذى نعيش فيه : عصر الثورات الست : ثورة
التكنولوجيا ، وثورة البيولوجيا ، والثورة الفضائية ، والثورة الالكترونية ، وثورة
الاتصالات ، وثورة المعلومات .

(ج) وعلى مستوى ما يعمل خصومنا ، وما يقدمونه لأديانهم ومبادئهم من
أموال وجهود وأوقات وتضحيات ، لا تخفى على الدارسين . فأهل الحق أولى بالعطاء .
إن هذا المشروع الذى ننشده ونحشد له الجنود والجهود والنقود ، هو فى
رأبى جهاد هذا العصر . فقهاؤنا قديما قالوا : الجهاد منه ما هو فرض كفاية ، وما هو
فرض عين . ويقولون عن الجهاد الأول : أن تغزو جيوش المسلمين أرض الكفار ،
وذلك لتبليغ كلمة الإسلام . فقد كانت البلاد قديما لا يمكن تبليغ الإسلام إلى
أهلها إلا بإذن ملوكها وأمرائها ، فإذا رفضوا ذلك لم نستطع الوصول إلى الرعية ،
ولا اختراق الاسوار إلا فى ظل الجيوش ، وهذا سر تحميل النبى ﷺ فى رسائله إلى
كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وغيرهم إثمهم وإثم رعيتهنم إذا رفضوا دعوة
الإسلام . لأن الناس كانوا على دين ملوكهم ، ولا يمكنهم مجرد سماع دعوة
الإسلام إلا بإذنهم .

ونحن بهذه الآليات الحديثة - وعلى رأسها الانترنت - نستطيع أن نصل إلى الشعوب ونخاطبها بألسنتها المختلفة في أنحاء الأرض، لا نحتاج إلى إذن الملوك والسلطات الحاكمة.. المهم أن تكون عندنا القدرات البشرية والعلمية والفنية لمخاطبة العالم بلغاته. وهذا يحتاج منا إلى تجنيد جيوش من العاملين، وإلى إعداد هائل لإطارات بشرية متنوعة مدربة قادرة على العطاء.

ملاحم الموقع

* ماهى الملاحم التى تحكم موقعكم على الإنترنت؟

- هذا الموقع لا يعبر عن اتجاه بلد معين أو فئة من الناس، بل يعبر عن الإسلام الخاص الشامل بمقوماته وخصائصه، ونستطيع أن نحدد ذلك فى الملاحم التالية:

١- إنه يخاطب المسلمين وغير المسلمين بالإسلام، ليصحح المفاهيم، ويجيب عن التساؤلات، يفند الشبهات، ويرد على المفتريات.

ولهذا بدأ بلغتين: العربية والإنجليزية، ثم سيتوسع إن شاء الله فى إدخاله للغات الأخرى بالتدريج، وحسب الإمكانيات.

٢- يقدم الإسلام بشموله وتكامله: عقيدة وعبادة وأخلاقا وآدابا وتشريعا وحضارة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] - يستمد تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه من ينابيعه الصافية: القرآن الكريم وصحيح السنة، كما فهمهما خير قرون الأمة: الصحابة ومن تبعهم بإحسان، منطلقا من أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

٣- يعتمد الوسطية فى فهمه للإسلام وفهمه للواقع، فلا يجنح إلى غلو المفرطين، ولا إلى تقصير المفرطين. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤- يعتمد التيسير فى الفتوى والتبشير فى الدعوة، امثالا لما أمر به الرسول الكريم « يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا » متفق عليه. وإذا كان الناس فى حاجة إلى التيسير والتبشير فى كل زمان، فهم أحوج ما يكونون إليه فى عصرنا.

٥- يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو يستلهم تراثنا الغنى، ويرجع إلى أئمتنا الكبار، ليأخذ عنهم، ويستفيد منهم، ولكنه لا ينسى أنه يعيش في القرن الخامس عشر الهجرى، والحادى والعشرين الميلادى، وفى الأثر: رحم الله امرأ عرف زمانه، واستقامت طريقته.

٦- لا يتعصب لرأى قديم، ولا لفكر جديد، ولا لمدرسة أو شخص، فكل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ. ولهذا يستفيد من كل المدارس وكل العلماء، ويأخذ الحكمة من أى وعاء خرجت، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

٧- يتعامل مع الناس - حتى المخالفين - باللين لا بالغلظة، وبالرفق لا بالعنف، وبالحوار بالتى هى أحسن لا بالتى هى أخشن، ويغلب الناس بالحب لا بالكراهية، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولهذا لا يبدأ أحداً بعداوة، ولا يستثير عداوة أحد، ولكنه يرد على من تطاول على الإسلام عامداً، وأصر على ذلك مكابراً، بالعلم لا بالسب.

٨- يتكامل هذا الموقع مع غيره من المواقع الإسلامية، بحيث نستغنى عن الازدواج والتكرار بغير حاجة ولا مبرر، ويتعاون مع كل العاملين فى هذه الساحة، وينسق معهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

٩- يجمع بين «العلمية فى المضمون والتشويق فى الشكل وأسلوب العرض»، فإن الله جميل يجب الجمال، وقد قال المشركون عن القرآن إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة.

ولضمان «العلمية» تقوم عليه لجنة من كبار علماء الشريعة الثقات، ولضمان «التشويق» تقوم عليه جماعة من المتخصصين فى علوم الحاسوب.

واجب الأمة نحو المشروع

* ماهو واجب الأمة نحو هذا المشروع كما ترونه؟

– إن الذى أوكدّه هنا: أن هذا المشروع الطموح هو مشروع الأمة الإسلامية فى هذا القرن الجديد، لتؤدى بعض واجبها نحو دينها. لقد قال أحد الأجانّب الذين قرأوا عن الإسلام وأعجبوا به: يا له من دين لو كان له رجال!

هذا مع أن الإسلام له مليار وثلاث ينسبون إليه، ويحسبون عليه، ولكن كم من هؤلاء نعتبره من رجال الإسلام، ومن جنود الإسلام؟!

إن الأمة تستطيع أن تقدم الكثير إذا وعت وفقهت، وعرفت نفسها، وعرفت ربها، وعرفت غايتها وطريقها، وإذا وثقت بالذين يقودون سفينتها.

إنى أدعو أمة الإسلام فى كل مكان إلى المساهمة فى هذا المشروع الكبير، كل بما يستطيع: صاحب المال يقدم من ماله، ومن زكاته المفروضة، من صدقاته التطوعية، من الصدقة الجارية.. من الوصايا.. من المال الذى عرضت له شبهة فهو يريد أن يتطهر منه، فهو حرام عليه، حلال للجهات الخيرية والمشاريع الإسلامية.. ومشروعنا منها.

وصاحب العلم يقدم من علمه، يتبرع لنا بإنتاجه العلمى، لتقدمه فى موقعنا لينتفع به الناس.

وصاحب القدرة الفنية فى هذا المجال يتبرع لنا بخبرته، ويضعها فى خدمة الموقع. ومن لم يملك مالاً ولا علماً ولا خبرة، فعليه أن يسندنا بدعائه لنا بالتوفيق. فهذا مدد روحى لا غنى لنا عنه.

إجابة عن أسئلة

(مركز يافا للدراسات والأبحاث) بالقاهرة

س ١: كيف تنظرون إلى مسيرة الصراع العربى – الصهيونى – ومستقبل هذا الصراع من منظوركم الإسلامى؟

ج ١: الصراع العربي الصهيوني: مستمر، وستظل جمرته مشتعلة، ورحاه دائمة الدوران، مادام هناك مغتصب ظالم وصاحب دار مظلوم.

وقد يتفوق المغتصب فترة من الزمن، يفرض نفسه بالحديد والنار، ويدل بترسانته النووية، ولكن الزمن ليس فى صالحه، ودوام الحال من المحال، ﴿وَتَلَكَّ الْأَيَّامُ نَدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، سينتصر حقنا لا محالة على باطله. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقد تستسلم الأنظمة والحكام والمنهزمون نفسيا ممن يحسبون أنفسهم من (المثقفين) ولكن الشعوب، والمنظمات الشعبية - لاسيما الإسلامية منها - ستظل تقاوم وتقاوم، ولو بالحجارة، ولن تلقى السلاح، ولن تعترف للغاصب بحق فيما اغتصب أبدا. وهذا الرفض المبدئي - الذى يمثل جزءا من الإيمان عند صاحبه - هو بذرة النصر، ونواة صناعة المستقبل.

وعندنا من المبشرات الدينية: ما يملأ قلوبنا ثقة وأملا بأن النصر لنا، وإن طال الأمد.

حسبنا من القرآن هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُحِبُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فهم اليوم ينعمون بهذا الحبل من الناس، ولكنه لن يدوم، فإذا انقطع هذا الحبل، فلن يجدوا ما يتشبثون به، لأن حبلهم من الله مقطوع من قديم.

وقوله تعالى: بعد أن حدثنا عن إفسادهم فى الأرض مرتين، وعقوبتهم على كل مرة أفسدوا فيها: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾

[الأسراء: ٨]

فهذا هو القانون الإلهي العادل والدائم: (إن عدتم عدنا) وقد عادوا بالإفساد والاعتصاب للأرض، والسفك للدماء، والانتهاك للحرمات، وقانون الله: أن يعود عليهم بالعقاب، وهو لهم بالمرصاد.

وحسبنا من السنة النبوية هذا الحديثان:

الأول: ما رواه أبو ماجة عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا من جابهم إلا ما أصابهم من لأواء (أى أذى) حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك، قالوا: وأين هم يا رسول الله؟ قال: فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس» رواه أحمد والطبرانى ورواته ثقات أثبات.

والثانى: ما رواه ابن عمر وأبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله أو يا مسلم، هذا يهودى ورائى، فتعال، فاقتله» متفق عليه.

س ٢: كيف ترون عمليات التطبيع والسلام والتسوية الراهنة فى المنطقة؟

ج ٢: عمليات التطبيع والسلام والتسوية الراهنة فى المنطقة: مرفوضة شرعا؛ لأنها تقوم على أساس الاعتراف للغاصب بأن له حقا وسلطة شرعية على ما غصب من ديارنا، وأن مدنا العربية الإسلامية: حيفا ويافا وعكا وغيرها ومن أرض فلسطين سقطت ملكيتنا لها، ونسبتها إلينا، وأصبحت أرضا إسرائيلية. وهذا لا يجوز.

لو كان المراد هدنة بيننا وبين إسرائيل، تكف فيها الأيدي بعضها عن بعض، ونحقق الدماء فترة من الزمن، تطول أو تقصر، لرحبنا بذلك، وقد عقد صلاح الدين هدنات مع بعض أمراء الصليبيين.

أما التسويات القائمة، فهى أدخل فى باب (الاستسلام) منها فى باب (السلام) وهى دليل الوهن واليأس، والمؤمن لا يهن ولا يبئس أبدا، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

س ٣ : الوجود الأجنبي فى الوطن العربى ، ما هو تحليلكم لأهدافه وتأثيره على التنمية المستقلة والقرار السياسى المستقل ؟

ج ٣ : الوجود الأجنبي فى الوطن العربى : غزو استعمارى جديد ، وإن كان فى ظاهر أمره أنه جاء برضا أهل البلاد أو بطلب منهم ، والواقع غير ذلك ، فهو مفروض على تلك البلاد ، رضوا أم سخطوا ، قبلوا أو رفضوا ، حتى الذين طلبوا هذا الوجود الأجنبي حيننا من الدهر ، طلبوه لسبب قد زال .

إن هذا الوجود الأجنبي ليس لصالح المنطقة ، بل لصالح إسرائيل أولا ، وللمصالح الاستعمارية والإمبريالية ثانيا ، ولضغط على المنطقة ثالثا ، ومراقبة تحركاتها عن كثب رابعا ، والعمل على تخريف بعضها من بعض خامسا ، والوقوف فى وجه أى عمل وحدوى سادسا ، والتيقظ التام لتحركات الأصولية الإسلامية وأنشطتها سابعا . وإنما أخرت هذا لأهميته ، وإن كان حقه أن يكون أولا .

إن الوجود الأجنبي خطر على المنطقة من كل ناحية : خطر على قرارها السياسى ، وعلى تنميتها الشاملة ، وعل اتجاهها للوحدة ، وهو - مع هذا - يحقق أهدافه من جيوب أهل المنطقة . فاعجبوا .

س ٤ : ما هى الآثار المباشرة المستقبلية للحصار الراهن المفروض دوليا على بعض دول وشعوب المنطقة ؟

ج ٤ : إنما نجح هذا الحصار إلى حد كبير للأسف ، لأنهم تعاملوا معنا واحدا واحدا ، ولم يعاملونا كيانا واحدا ، وقبلنا منهم - عمليا - هذا التعامل ، فضربونا أفرادا ، ومزقونا أشلاء ، إنفردوا بكل قطر ، ووقف الآخرون يتفرجون عليه ، بل ربما ساعدوه . هكذا تعاملوا مع ليبيا ، هكذا تعاملوا مع العراق ، وهكذا تعاملوا مع السودان .

وأملنا أن ينتصر المحاصرون على الحصار المضروب ، بالصبر والمصابرة والمرابطة ، كما فعل أخوتنا فى السودان ، وأن ندرك جميعا مغزى المثل العربى القديم (إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض) .

س ٥ : كيف ترون المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين بقيادة (حزب الله)

و (الجهاد الإسلامى) و (حماس) ورأيكم فى سلاح العمليات الاستشهادية الذى ارتبط بالأداء الجهادى لهذه الحركات مؤخرا؟

س٦ : ما هو موقفكم من الفتاوى التى صدرت بشأن شهداء المقاومة الإسلامية فى لبنان وفلسطين وخاصة تلك الفتاوى التى صدرت ضد المقاومين ووصمتهم بالإرهاب؟

س٧ : كيف يمكن دعم هذه المقاومة الإسلامية من وجهة نظركم؟
المقاومة الإسلامية فى فلسطين وفى لبنان بقيادة حماس والجهاد وحزب الله: وجه مشرف للأمة، ودليل على أن هذه الأمة لن تموت، وأن الخير لا يزال فيها إلى يوم القيامة، وأن فيها طائفة قائمة على الحق، تحيا له وتجاهد عليه، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

وقد أصدرت فتاوى فى حينها تبارك وتؤيد هذه (العمليات الاستشهادية) التى يجعل فيها المجاهد من نفسه (قنبلة بشرية) تنفجر فى أعداء الله، فتقذف فى قلوبهم الرعب، فى مجتمع (عسكر) أهله، فكلهم - رجالا ونساء - جنود فى جيش العدوان .

هؤلاء الأبطال الذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

أما الفتاوى التى صدرت ضد هؤلاء الأبطال، ووصمهم بالإرهاب، فلم تصدر من علماء ثقات، يوثق بحسن فقههم، وحسن دينهم، إنما هى من قوم دخلاء على العلم والدين، أو لعلهم من علماء السلطة، وعملاء الشرطة، ممن إذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا .

إن هؤلاء الأبطال من رجال المقاومة الإسلامية، يقومون عن الأمة الإسلامية كلها بفريضة الجهاد، التى أمست واجبا عليهم جميعا، لتحرير القدس الشريف، وإنقاذ المسجد الأقصى، وتخليص أرض الإسراء والمعراج، والقنبلة الأولى من رجس الاعتداء الصهيونى .

إن هذا ليس واجب الفلسطينيين وحدهم، بل هو واجب العرب جميعاً،
وواجب المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها .

وإذا كان كل يهودى فى العالم يعتبر نفسه مسؤولاً عن بقاء إسرائيل، وتفوق
إسرائيل، فكذلك كل مسلم فى العالم مسؤول عن إنقاذ القدس والأقصى .

وواجب علينا - إذا لم نملك أن نذهب نحن لنجاهد - أن نمد المجاهدين
بكل ما نستطيع من عون مادي وأدبي، وأن نحتال على ذلك بكل ما نقدر عليه،
حتى يصمدوا ويثبتوا، ويظلوا مرابطين على نفوذهم، حتى يأتى نصر الله .
إن المقاومة هى قدرنا، وهى علينا فريضة، ولنا ضرورة، فريضة يوجبها
الدين، وضرورة يحتمها الواقع .

وإذا كان مناحيم بيجن قال: «أنا أحارب، إذن أنا موجود! فإن الشيخ
ياسين يقول: أنا أقاوم، إذن أنا موجود!» .

إن هذه المقاومة هى السنة الإلهية التى بدونها يتسلط أهل القوة على أهل
الحق، وتسود شريعة الغاب، وقانون الظفر والغاب، وبهذا يفسد العالم، كما قال
تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ .

وأدنى درجات المقاومة: هى المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،
ورفض كل محاولات (التطبيع) مع العدو الغاصب، وإبقاء الحاجز النفسى بيننا
وبينهم، لا نسمح بكسره أو اختراقه بحال .

وعلى أن نوعى الأمة بواجبها نحوهم، ونكشف ستر المشوشين عليهم،
والمخذلين والمثبطين لهم، وأن نحذر الفلسطينيين أن يمد سلاحهم بعضه إلى
بعض، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، والمسلمون يسعى بذمتهم
أدناهم وهو يد على ما سواهم .

س ٨: ما رأيكم فى مستقبل الإسلام والمسلمين فى ظل التحديات القائمة؟

ج ٨: أرى أن المستقبل لهذه الحركة التى تتسم بالوسطية، وتلتزم بالمنهج
الوسط، وعلى أفرادها ألا ييأسوا، فالمسلم دائماً يعيش مؤملاً فى الله عز وجل .

والقرآن الكريم ندد باليأس واليائسين فقال: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال: ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

كما أن القرآن مملوء بالدلائل الواضحة على أن المستقبل لهذا الدين إذ يقول ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]

والسنة النبوية المطهرة ذاخرة بالمبشرات التي تبشرنا بنصر الله لجنوده الدعاة، إذ يقول ﷺ: « تكون النبوة فيكم إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثم تكون ملكا عاضا (أى وراثيا) إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة »

كما أن السنن الكونية تبشر، والواقع الإسلامي الذي نحياه يبشر بالنسبة لما كان عليه الحال من قبل، فقط علينا أن نعمل لنصرة هذا الدين، وعلى أبناء الصحوة ألا يتسرب اليأس إلى قلوبهم، فهذا هو مكنن الخطر. وأنصح للسائل أن يقرأ رسالتي عن (المبشرات بانتصار الإسلام).

س ٩: ما رأيكم في التعددية في الإسلام؟

ج ٩: رأيي الذي أعلنته من سنين في محاضرات عامة، ولقاءات خاصة: أنه لا يوجد مانع شرعى من وجود أكثر من حزب سياسى داخل الدولة الإسلامية، إذ المنع الشرعى يحتاج إلى نص ولا نص.

بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة فى هذا العصر؛ لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وتحكمها فى رقاب الآخرين، وفقدان أى قوة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لم؟ كما دل على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع.

كل ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعية وجودها أمران أساسيان:

١ - أن تعترف بالإسلام - عقيدة وشرعية - ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن

كان لها اجتهاد خاص فى فهمه، فى ضوء الأصول العلمية المقررة.

٢ - ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، أيا كان اسمها وموقعها. فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو يطعن في الأديان السماوية عامة، أو في الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام: عقيدته أو شريعته أو قرآنه، أو نبيه عليه الصلاة والسلام.

س ١٠ : ما رؤيتكم كمرجع إسلامي في الديمقراطية والاستبداد السياسي؟

ج ١٠ : إن جوهر الديمقراطية بعيدا عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية

- أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وألا يفرض عليهم حاكم يكرهونه، أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحق عزله إذا انحرف، وألا يساق الناس إلى اتجاهات أو مناهج اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها. فإذا عارضها بعضهم كان جزاؤه التشريد والتنكيل، بل التعذيب والتقتيل.

هذا هو جوهر الديمقراطية الحقيقية التي وجدت البشرية لها صيغا وأساليب عملية، مثل الانتخاب والاستفتاء العام، وترجيح حكم الأكثرية، وتعدد الأحزاب السياسية، وحق الأقلية في المعارضة وحرية الصحافة، واستقلال القضاء. الخ.

فهل الديمقراطية - في جوهرها الذي ذكرناه - تنافي الإسلام؟ ومن أين تأتي هذه المناقاة؟ وأي دليل من محكمات الكتاب والسنة يدل على هذه الدعوى؟ والواقع أن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام، فهو ينكر أن يؤم الناس في الصلاة من يكرهونه، ولا يرضون عنه، وفي الحديث: « ثلاث لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا. . » وذكر أولهم: « رجل أم قوما وهم له كارهون. . » (١).

وإذا كان هذا في الصلاة فكيف في أمور الحياة والسياسة؟ وفي الحديث الصحيح: « خيار أئمتكم - أي حكامكم - الذين تحبونهم ويحبونكم،

(١) رواه ابن ماجة (٩٧١) وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وابن حبان في صحيحه، الموارد (٣٧٧) كلاهما عن ابن عباس.

وتصلون عليهم - أى تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»^(١).

لقد شن القرآن حملة فى غاية القسوة على الحكام المتألهين فى الأرض، الذين يتخذون عباد الله عبادا لهم مثل (نمرود) الذى ذكر القرآن موقفه من إبراهيم وموقف إبراهيم منه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِنِّي الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ومن روائع القرآن: أنه ربط بين الطغيان وانتشار الفساد، الذى هو سبب هلاك الأمم ودمارها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٣].

والسنة النبوية حملت كذلك على الأمراء الظلمة والجبابرة، والذين يسوقون الشعوب بالعصا الغليظة، وإذا تكلموا لا يرد أخذ عليهم قولاً فهم الذين يتهافون فى النار تهافت الفراش.

كما حملت على الذين يمشون فى ركابهم، ويحرقون البخور بين أيديهم، من أعوان الظلمة.

ونددت السنة بالأمة التى ينتشر فيها الخوف، حتى لا تقدر أن تقول للظالم: يا ظالم.

فعن أبى موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إن فى جهنم واديا، وفى الوادى بئر، يقال له ههب، حق على الله أن يسكنه كل جبار عنيد»^(٢).

(١) رواه مسلم عن عوف بن مالك.

(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب والهيثمى فى:

المجمع ١٩٧/٥ والحاكم وصححه ووافقه الذهبى ٣٣٢/٤.

وعن معاوية مرفوعاً: « لا تقدر أمة لا يقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع »^(١).

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: « إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تودع منهم »^(٢).

س ١١ : موقف الإسلام من بعض الأقليات في مصر والعالم العربي؟

ج ١١ : إن علاقة الإسلام بغير المسلمين تحكمها آيتان ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿ [المتحنة: ٨ - ٩].

فالقُرآن الكريم هنا قسم أهل الكتاب إلى قسمين: قسم يهادن الإسلام وأهله ولا يحاربه حرباً عسكرية أو يعين عدواً عليه، كما أنه لا يشكك في عقيدة الإسلام، معلناً ذلك، أما إذا أسر الكراهية - في نفسه - لهذا الدين، فلا سبيل للإسلام عليه فهذا القسم علاقتنا به البر والقسط.

وقسم يعادى ديننا ويحاربنا ويعين عدونا علينا، فهؤلاء يُسمون أهل حرب.

هذه نظرة الإسلام عامة لغير المسلمين الذين هم خارج أرض الإسلام، أما غير المسلمين داخل أرض الإسلام، فهؤلاء لهم وضع خاص فهم يسمون في الفقه الإسلامي (أهل الذمة).

والفقهاء يسمونهم أهل (دار الإسلام) أو بتعبيرنا المعاصر (الجنسية) أي أنهم متجنسون لهم حق (المواطنة) كما أن لهم كل الحقوق التي للمسلم، ولذا اشتهرت عند فقهاءنا هذه العبارة عن أهل الذمة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

(١) رواه الطبراني ورواه ثقات، كما قال المنذرى والهيثمى، كما رواه من حديث ابن مسعود بإسناد جيد ٢٠٩/٥، ورواه ابن ماجة مطولاً من حديث أبي سعيد.

(٢) رواه أحمد في المسند وصحح شاكر إسناده (٦٥٢١) ونسبه الهيثمى للبخاري أيضاً بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ٢٦٢/٧ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٩٦/٤.

وهذا ما جعل المحامى الشهير القبطى - الأستاذ مكرم عبيد يعلن - عن فهم منه لطبيعة الإسلام - أنه مسيحي ديانة، مسلم موطناً.

س ١٢ : ما موقفكم الإسلامى من قضايا العلمانية والعولمة؟

ج ١٢ : نحن نرحب بالعلمية، ولكننا نرفض العلمانية، لأن العلمية فريضة شرعية وضرورة قومية، وتأكيدها واجب الدعاة والمربين والمفكرين، وأجهزة التوجيه كلها، أما العلمانية فهى مرفوضة بكل معيار: معيار الدين، أو معيار الديمقراطية، أو معيار الدستور، أو معيار الأصالة، أو معيار المصلحة، وتفصيل ذلك يطول، فليرجع إليه فى كتابنا (الإسلام والعلمانية: وجهها لوجه).

هذا بالنسبة للعلمانية. أما بالنسبة للعولمة: فنحن مع العالمية لا العولمة، لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية، ومن أهدافه: هداية العالم. أما العولمة فهى لون جديد من ألوان الهيمنة على الشعوب، والغزو المقنع لها. ولذا نقول: نحن مع التفاعل الثقافى، ونرحب به، ونرفض الغزو الثقافى.

فالتفاعل الثقافى مشروع، بل مطلوب، ولكن التفاعل إنما يكون من جانبيين بين ندين، يعطى كل منهما ويأخذ، واعياً مختاراً، غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاص، فهو يأخذ ما يحتاج إليه، وفق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعاً لمنطق معلوم، محتفظاً بهويته وخصائصه، غير مفرط فى قيمه ومبادئه ومقوماته المشخصة لذاته.

أما الغزو فهو من طرف قوى لطرف ضعيف، أى من غالب قاهر، لمغلوب مقهور مبهور بقوة غالبية، فهو يأخذ منه لا يعطيه، ويأخذ ما لا يحتاج إليه، بل يأخذ ما لا ينفعه، وإن كان ينفع صاحبه، بل كثيراً ما يأخذ الضار ويدع النافع!

س ١٣ : كيف تنظرون إلى العلاقة بين العروبة والإسلام؟

ج ١٣ : العروبة فى الواقع عميقة الصلة بالإسلام، فالعربية لسان قرآنه وسنته ولغة عبادته وثقافته، والعروبة وعاءه، وأرض العرب معقلة وحصنه، بها مقدساته ومساجده التى لا تشد الرحال إلا إليها، والعرب هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم والصحابة كلهم عرب، ومن لم يكن عربى العرق منهم أصبح

عربي اللسان والقلب، (ومن تكلم العربية فهو عربي)، وقد جاء في الأثر: إذا عز العرب عز الإسلام، وإذا ذل العرب ذل الإسلام.

وفي مصر وبلاد المغرب العربي كله، لا يفرق الناس بين العروبة والإسلام، ولا بين العرب والمسلمين، وإذا قال الخطيب في المسجد: اللهم انصر العرب، فهي تساوى: اللهم انصر المسلمين، والعكس كذلك. وقد عبر عن هذا الشاعر المصري محمود غنيم رحمه الله بقوله:

إن العروبة لفظ إن نطقت به فالشرق والضاد والإسلام معناه

العروبة إذن عميقة الصلة بالإسلام، والإسلام كذلك عميق الصلة بالعروبة، ولا تعارض بين العروبة والإسلام، إلا إذا كانت العروبة (علمانية)، وهى التى لا تقبل الإسلام حكما، أو كان الإسلام (شعوبيا) وهو الذى يعادى العرب، والواقع أن الإسلام يجعل للعرب مكانة خاصة، ويعرب مشاعر المسلمين من غير العرب، إن لم يعرب ألسنتهم وثقافتهم.

وإنما حدثت الجفوة بين العروبة والإسلام بدخول الغلاة من الفريقين فى الميدان، فساء ظن كل منهما بالآخر، وساء تفسيره لفكرته، فرأينا فى القوميين من يعتبر القومية العربية (نبوة جديدة) للعرب، ومن يعتبر الإسلام مجرد (انتفاضة عربية)، ومن يجعل القومية فوق الدين، ومن يقول فى شعره:

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم!!

ورأينا فى الإسلاميين من يعتبر القوميين كلهم من هذا الصنف المذكور، ولا يفرق بين فصيل وفصيل، ويعتبر القومية كلها جاهلية، ولقد حدثت لقاءات وندوات للحوار بين الإسلاميين والقوميين قربت بين المنصفين والمعتدلين من التيارين، وتفهم كل طرف ما عند الآخر، والتفهم إذا اقترن بالإنصاف كثيرا ما يؤدي إلى التقارب والتواصل، بدلا من التجافى والتقاطع.

* * *

الداعية الكبير في عامه السبعين

الأنظمة المستبدة تخاف الإسلام المعتدل وتحاربه!!

منذ أيام بلغ الداعية الإسلامى الكبير الشيخ القرضاوى السبعين من عمره وبهذه المناسبة التقيت به فى بيته لإجراء حوار لمجريدة « الشعب » وأصابتنى الحيرة فى موضوع الحديث!! هل سيكون وقفة مع الماضى ورحلة عالمنا الكبير فى عالم الدعوة إلى الله، حيث يجوب آفاقها منذ ما يقرب من أربعين سنة؟؟.

لكننى فضلت أن يكون حديثى معه حول المستقبل، خصوصا بعدما علمت أن زملاء الدكتور القرضاوى ومحبيه وتلاميذه يعدون كتابا ضخما متكاملًا حول فكر شيخنا الجليل وأثره فى الصحوة الإسلامية المعاصرة.

نتقدم ببطء السلحفاة!

* فى بدء حوارنا عن المستقبل سألت الداعية الكبير عن رؤية فى مدى أخذ العالم الإسلامى بأسباب النهوض والتقدم.. وهل نحن جادون فى هذا الصدد أم أننا « محلك سر »؟.

- أجبني: التعميم ليس من الحكمة فى شىء، فالعالم الإسلامى دوله شتى حاليا، والتقدم ذاته له مجالات متعددة، لكن يمكن القول بأننا دون المستوى المنشود بمراحل، ونتقدم ببطء السلحفاة، والعالم يشهد ثورات علمية مختلفة.. فى مجالات الطب والتكنولوجيا.. إلخ.. أين نحن منها؟ للأسف لا صلة لنا بها!! فلسنا على مستوى العصر ولا مستوى إسلامنا الذى يدعو إلى التقدم والتفكير والتدبير والأخذ بأسباب القوة.

وأكمل الشيخ يوسف إجابته عن سؤالى قائلا: الدولة التى أراها أقرب إلى التقدم فى عالمنا الإسلامى هى ماليزيا.. ففيها نهضة اقتصادية حقيقية وصحوة إسلامية كبيرة، وحرىات سياسية واسعة.

الضربات المتلاحقة تزيدنا صلابة

* وبمناسبة الحديث عن الحريات السياسية الموجودة في ماليزيا! تذكرت بلادى وأصدقائى وراء الشمس .. د. عصام العريان، ود. عبد المنعم أبو الفتوح، ود. محمد حبيب، وغيرهم وغيرهم من خيار الناس المحكوم عليهم بالسجن ظلما وعدوانا.. واضح أن الحركة الإسلامية تضرب بعنف.

سألت أستاذنا الجليل الدكتور يوسف القرضاوى عن مستقبل الصحوة الإسلامية.. هل هى فى تراجع؟

- نفى فضيلته ذلك بقوة قائلا: صحيح أن الأنظمة الحاكمة فى أجزاء عديدة فى العالم الإسلامى تتآمر على المتدينين وتواجههم بالقوة والإرهاب، إلا أن هذه الضربات المتلاحقة غير مميتة، بل على العكس فهى تفرز الصف الإسلامى وتميز الخبيث من الطيب، وتعطى للتجمعات المؤمنة صلابة وقوة.. لقد قامت الصحوة الإسلامية بالفعل وهيئات أن تموت.

هذه أسباب تفاؤلى

* سألت الشيخ يوسف القرضاوى عن أسباب تفاؤله بمستقبل الحركة الإسلامية؛ رغم «الظلام» الذى نعيش فيه.. من أين سيأتى «النور» يا فضيلة الشيخ؟

- التفاؤل له أسباب كثيرة جدا مبنية على أرض ملموسة وليست أوهاما! هكذا رد شيخنا الجليل وبدأ يشرح ما يعنيه قائلا: انظر إلى التاريخ المعاصر والقديم ستجد ما يدفعك إلى الإيمان بمستقبل الحركة الإسلامية، لقد تلقت فى العصر الحديث ضربات ساجقة بالعديد من الدول، ومع ذلك عادت إلى نشاطها من جديد وبأكثر مما كان يحلم به أى شخص.. السجنون ليست كلها سلبيات. كما نظن فمنها أيضا يتخرج الرجال، كما أنها فرصة لا تتكرر للتأخى والخلوة مع الله، فيزداد الإيمان فى القلوب، ويشهد الصف مزيدا من التماسك والوحدة.

وإذا نظرنا إلى التاريخ القديم نجد أن المسلمين قد ابتلوا بمصائب كبرى،

لكنهم سرعان ما استعادوا قوتهم، فقد سقطت بغداد عاصمة الخلافة، ومع ذلك استطاع جند الإسلام فى النهاية قهر التتار فى عين جالوت، وسقطت القدس والعديد من المدن الإسلامية فى أيدى الصليبيين، وجاء صلاح الدين لينزل الهزيمة بأعداء الإسلام وشهدت الأندلس مذابح بشعة لأتباع محمد - ﷺ - لكن القسطنطينية سقطت فى أيديهم على يد المجاهد «محمد الفاتح».

وهناك أسباب أخرى تدعونى إلى التفاؤل، فلا يوجد شىء على حاله، والظلم لا يستمر إلى الأبد، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) فسنة التغيير وسنة التداول فى صالحنا تماما.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة من أهم المبشرات التى تدعو كل مسلم إلى التفاؤل، هناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى تؤكد أن النصر فى النهاية للمؤمنين وتحذر من اليأس والقنوط.

الإرهاب.. والأنظمة المستبدة

* لكن هل الإرهاب الذى شهدته بعض البلاد الإسلامية مثل مصر والجزائر قد أثر سلبيا فى الحركة الإسلامية إجمالا لدى جماهير الشعب خصوصا وأن أجهزة الإعلام قد استغلت العنف الذى وقع لتنفير الناس من المتدينين عموما؟
* لخص شيخنا الجليل يوسف القرضاوى إجابته فى عدة نقاط: أولها: أن أحداث العنف التى وقعت هى مسئولية الأنظمة المستبدة بالدرجة الأولى، حيث إن الحرب على التيار الإسلامى كله وإغلاق أبواب الحوار نتائجه وخيمة على الجميع.

ثانيها: أن الشباب المسلم المتدين بخير فى غالبته العظمى وهو ينتمى إلى تيار الوسطية المعتدل الذى يرفض العنف، وينظر إلى الإسلام بطريقة شاملة.

ثالثها: أن أجهزة الإعلام استغلت بطريقة شيطانية تصرفات القلة الشاذة المنسوبة إلى الصف الإسلامى من أجل الاستغلال السيئ إذا كان له تأثير فى الجمهور فهو مؤقت، لأن الناس ستكشف بيسر وسهولة أن المتدين بحق لا يمكن أن يكون بهذه الصورة التى ظهر بها فى أجهزة الإعلام.

آخرها وهو الغريب: أن الحكومات المستبدة في عالمنا الإسلامي لا تخشى من المتطرفين بقدر خشيتها من تيار الاعتدال، ولذلك شنت عليهم حرباً لا هوادة فيها مثل إلقاء أبرز رموزهم في السجون، والعمل على ضرب النقابات وتزوير الانتخابات، فالكارهون لديننا يعلمون تماماً مدى تأثير تيار الوسطية الإسلامية في جموع الشعب.

احترام الحكم.. ولكن!

* بعض العلمانيين الذين انضموا إلى صف الاستبداد في محاربة التيار الإسلامي يزعمون أن الاتهام بالكفر والإلحاد والمروق هي «صفات جاهزة» يستخدمها المتدينون ضد كل من يخالفهم في الرأي.. فما رأيك؟

- منذ سنوات بعيدة قال مرشد الإخوان المسلمين حسن الهضبي رحمه الله: نحن دعاة ولسنا قضاة، ووضع كتيباً في هذا الصدد، وكانت الظروف في غاية الصعوبة والملاحقة على أشدها ومع ذلك رفض أن يحيد عن الخط الإسلامي الصحيح، فترويح الاتهامات ليس من سمات التيار الإسلامي الأصيل وكان أولى بهؤلاء أن يقفوا إلى جانب المظلومين في السجون بدلاً من أن يكونوا عوناً للاستبداد.

* لكنهم استغلوا قضية الدكتور نصر أبو زيد لتأكيد أن المنتمين إلى التيار الإسلامي يواجهون غيرهم بالإرهاب الفكري!!

- الحكم الصادر في هذا الموضوع يجب أن يكون له الاحترام من الجميع، لأن محكمة النقض هي التي قضت به وهي أعلى سلطة قضائية، وقد مر هذا الحكم بمراحل متعددة حتى استقر في شكلة النهائية.. وجاء بعد بحث جاد وتمحيص شامل لآراء هذا الأستاذ قام به قضاة متخصصون. ومع ذلك لو كان الأمر بيدي لا اقترحت أن يطرح هذا الموضوع جانبا ولا يذهب إلى ساحات المحاكم، فمكانه الأول هو الساحة الفكرية.

مصير حزب التجمع!

* صرح السيد خالد محيي الدين - أمين عام حزب التجمع - مؤخراً بأن

الحكومة تعمل على التضييق عليه، لكن الإخوان لو وصلوا إلى الحكم فسيقضون على حزبه نهائياً، ويرفضون السماح له بالعمل بحجة أنه حزب علماني!! ترى بماذا تردون على هذا القول؟.

- أولاً لست أعرف الأسباب التي دفعت خالد محيي الدين إلى الإدلاء بتصريحه هذا، لكنني أطلب منه أن يطمئن، فنظام تعدد الأحزاب بمفهومه الواسع لا يتعارض مع تعاليم ديننا، وعندى مقولة مشهورة أقولها في هذا الصدد: «الأحزاب مذاهب سياسية، والمذاهب أحزاب دينية»، فقد عرف المسلمون الخلاف في الرأي، واحترم بعضهم البعض وكان خلافهم في أرقى صورته، والمذاهب التي نشأت دليل أكيد على ذلك... وكل المطلوب من الحزب السياسي ألا يكون تابعا لجهات أجنبية يتلقى أوامره منها، وهذا أمر بديهي، كما عليه ألا يصادم قواطع الدين ويعلنها حربا على إسلامنا... وأهلا بكل حزب يحترم مشاعر الناس الدينية «الإسلام والمسيحية على السواء» فلسنا نتطلع إلى حكم يسود فيه رجال الدين أو يكون للقائمين عليه حق القداسة والطاعة العمياء بل هو حكم مدني إسلامي والحاكم فرد ليس بمعصوم من النقد إذا أخطأ.

العلاقات مع الغرب

* وماذا عن العلاقات مع الغرب، وكيف ترونها في المستقبل.. هل إلى التصادم أم إلى حسن الجوار؟

- الغرب مثل الشرق ليس شيئا واحدا، فرنسا ليست مثل إنجلترا، وأمريكا مختلفة، لكن يمكن القول إجمالاً بأن الغرب بصفة عامة وإن لم يقف منا موقف العداء فهو ليس بالصديق ولا يحمل لنا المودة والتقدير، وهناك عدة أسباب لذلك منها: رواسب الحروب الصليبية، وبقايا الاستعمار الحديث والاستعلاء والعنصرية المنتشرة في تلك البلاد..

وعن المسلمين هناك يقول: هناك قلة منهم لا تفهم الإسلام بطريقة صحيحة وأصواتهم عالية ويسبون إلى ديننا!! وهم متعصبون لما يؤمنون به، أما

الكثرة الغالبة ففيهم الاعتدال والتسامح، وهم منفتحون على الغرب، لكنهم في الوقت نفسه يرفضون الذوبان فيه، وفي يقيني أنهم أداة جيدة جدا لتحسين صورة المسلمين هناك في الغرب بحيث نكسب العقلاء منهم إلى صفوفنا.. وأول ما أنصح به المسلمين في أوروبا وأمريكا هو الحرص على الوحدة.

هزيمة المجاهدين في أفغانستان

* قلت لشيخنا القرضاوى: المجاهدون في أفغانستان أصابونا بخيبة أمل كبرى، وقد ألقى ذلك بظلاله على مستقبل التيار الإسلامى إذا تسلم الحكم فى بلد ما.. فما الضمانات لعدم تكرار ذلك؟

- أجبني فى حسرة قائلا: الوضع هناك بالفعل يدعو إلى الحزن. إنه جرح خطير فى جسد المسلمين، لقد انتصروا على دولة كبرى وأعظم قوة اتحادية فى التاريخ، لكن المجاهدين لقوا الهزيمة من قبل أنفسهم - أقصد شهواتهم - فقامت الحرب الأهلية التى نشهدها حاليا.. والوضع هناك شديد التعقيد، فهناك قبائل متعددة وعصبيات ونزعات عرقية، واستغلت قوى خارجية هذا الوضع لتأجيج النار.. فالانتصارات الأخيرة مثلا لحركة «طالبان» تشير الريبة، وهناك دول أجنبية تساعدنا مع أن هذه الحركة لم يكن لها وجود أيام الجهاد ضد الاحتلال الشيوعى!! وحسن التربية للمسلم المجاهد أراه ضرورى لعدم تكرار هذه المأساة من جديد، وهذا الأمر له صفات يجمعها حسن الصلة بالله ومحاسبة النفس باستمرار.

المرأة.. خسارة

* ألا توافقنى أن عنصر التشدد مازال نفوذه قويا فى معاملة المتدينين للمرأة؟
- هذا صحيح ويشكل خطرا على مستقبل الحركة الإسلامية، فالمرأة نصف المجتمع ومع ذلك «فالأنتى» فى ميدان الدعوة لم تأخذ حقها كما ينبغى، وفشل الإسلاميون فى إبراز قيادات نسائية إسلامية، بينما نجح العلمانيون فى ذلك.
* وكان سؤالى الأخير حول اختفاء المواهب فى ميدان الدعوة. أين العلماء

أمثال الغزالي رحمه الله والقرضاوى ومحمد عمارة وغيرهم حفظهم الله جميعاً؟.

- أجبني قائلاً: الأمر ليس بهذه الصورة القائمة ولكن بلا شك هناك خلل فى ميدان الدعوة، وله أسبابه الثلاثة، فالتعليم الدينى يحتاج إلى مراجعة، والاستبداد السياسى عدو طبيعى لكل داعية ناجح، ولا يمكن أن يسمح له بأى نشاط حقيقى، إلا إذا كان فى خدمة الحاكم ومآربه، كما أن الحكم المستبد قام بالتضييق على الهيئات الشعبية الإسلامية.. مثل جماعة الإخوان المسلمين التى تربينا فى ظلها، وأعطتنا فرصاً حقيقية للانتشار بين الجماهير، وتعلم الدعوة بطريقة عملية ومباشرة من خلالها.. وإلى هذه الجماعة وغيرها من الهيئات المخلصة يرجع الفضل فى نجاح العديد من الأسماء اللامعة بميدان الدعوة فى عصرنا الحديث.

ثلاث خطوات ضرورية لوحدة إسلامية تقرب بين السنة والشيعة

واصل «الشعب» حوارها مع د. يوسف القرضاوى، كان الجزء الأول من الحوار قد تناول مؤتمر الدوحة حصار العراق وحادث الأ قصر.
قلت لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى: لكم فتوى معروفة بتحريم التعامل والتطبيع مع الصهاينة فى ظل احتلالهم لأرضنا.. فما مرتكزات هذه الفتوى؟

قال الشيخ:

إن الموقف من إسرائيل موقف مبدئى كما يعبرون عنه فى عصرنا استراتيجى ليس تكتيكى، وليس سياسياً يمكن أن يتحرك أو يتغير بتغير الظروف، هو موقف مبدئى، وإسرائيل هى فى التكييف الشرعى جماعة وصلت لأرض المسلمين واحتلتها بغير حق ولم يكن لها فى هذه الأرض، أى شرعية وإنما أخذتها بالحديد والنار والعنف والدم وشردت أهلها فى آفاق الأرض، وهذا يعنى

أن إسرائيل أقامت كيائها كله على العدوان والاعتصاب، ومثل هذا لا يعطى الشرعية بتقادم الزمن ومرور الأعوام فإن مضى الزمن فى نظر الشرعية الإسلامية لا يجعل الحرام حللا ولا الباطل حقا، ولا يسلب الباطل صفته والنهب هى صفته الأولى، فعلى هذا الأساس رفضنا السلم مع إسرائيل بمعنى السلم الذى يعطيها الحق فيما اغتصبت ويجعل لها سلطانا شرعيا على ما نهته من دار الإسلام وأرض المسلمين .

ويمكن لمصلحة يراها أولو الأمر من المسلمين أن يعقدوا هدنه مع إسرائيل ومع دول الاعتصاب دون أن يتضمن ذلك اعترافا بحقها وسلطانها الشرعى على ما اغتصبت من أرض .. من هنا نرى أن الواجب على أهل فلسطين على وجه أخص وعلى العرب بصفة خاصة وعلى المسلمين بصفة عامة أن يقاوموا هذا الأعتصاب والعدوان الصهيونى وإن كانت إسرائيل اليوم قوة بما تملك من ترسانة نووية وكيمياوية وغيرها وبمساندة أمريكا المطلقة لها والمساندة الغربية إلى حد ما، فإن سنة الله ألا يبقى القوى قويا ولا يستمر الضعيف ضعيفا، فالأمر يتقلب ودوام الحال من المحال (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وعندنا البشائر النبوية بالانتصار على اليهود فى أن الحجر والشجر سيكونان معنا بإذن الله .

قلت: بعد هذه الفتوى الواضحة، ما رأيكم فى مؤتمرات الشرق أوسطية التى بدأت بمؤتمر الدار البيضاء وانتهت بمؤتمر الدوحة وخاصة أننا نعلم أنكم أعلنتم رفضكم لمؤتمر الدوحة على المنابر برغم إقامتكم فى الدوحة .

التقريب بين الشيعة والسنة

قلت للدكتور القرضاوى: قضية الوحدة بين المسلمين مازالت فى وضع متأخر فى سلم أولويات الأمة فى ظل التكتلات التى يشهدها العالم . فما موقع قضية الوحدة للمسلمين وكيف يتم التقريب بين جناحي الأمة المهيمن الشيعة والسنة؟

قال الشيخ: لا يوجد دين كالإسلام دعا إلى وحدة الأمة وتعاونها على البر والتقوى واعتصامها بحبل الله جميعا، وحذر من الاختلاف والفرقة والتنازع كما قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ثم

يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وفي الحديث: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». والأمة الإسلامية تملك كل ما يقوى وحدتها ويجعل منها أمة واحدة فلديها وحدة العقيدة ووحدة الشريعة ووحدة القبلة ووحدة الآداب ووحدة المصادر، ولديها وحدة للغاية ووحدة المنهج، ولهذا لا يجوز أن تصبح هذه الأمة أمما يجافى بعضها بعضا بل يعادى بعضها بعضا بل يقاتل بعضها بعضا أحيانا.

وكذلك مع تحذير الرسول لهم: لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

وإذا كان المسلمون دائما فى حاجة إلى الوجود أو على الأقل التضامن والتقارب فهم أحوج ما يكونون إلى ذلك فى عصرنا هذا الذى يتقارب فيه المختلفون بعضهم مع بعض برغم ما كان بينهم من خلافات وعداوات وحروب ودماء طوال قرون مضت. رأينا ذلك على المستوى الدينى ما بين الكاثوليك والبروتستانت من المسيحيين، بل رأينا ما بين اليهود والمسيحيين على الرغم من القرون الطويلة التى كان العداء بينهما صريحا ومستعرا الأوار فانتهاوا إلى ما أصدره الفاتيكان من وثيقة تبرئة اليهودية من دم المسيح عليه السلام. رأينا ذلك على المستوى الأيديولوجى. رأينا المختلفين أيديولوجيا يتقاربون فيما بينهم فى ضوء سياسة التعايش السلمى القديم بين الولايات المتحدة وحلفائها من جانب والاتحاد السوفيتى وحلفائه من جانب آخر ثم سياسية الوفاق أخيرا إلى أن انتهى الاتحاد السوفيتى ولكن خلفه التقارب والاتفاق مع الصين الشيوعية.

رأينا هذا التقارب على المستوى الاقتصادى والسياسى بالنسبة لأوروبا التى استمر الصراع بين دولها فترات طويلة يذكرها التاريخ ولا ينساها ولا ينسى الحروب المدمرة التى قامت بين بعضها البعض وآخرها الحربان العالميتان الأولى والثانية وما خلفته من ضحايا بالملايين.

ومع هذا تتقارب أوروبا اقتصاديا وسياسيا لتنشئ كتلة كبرى تستطيع أن

تقف في مواجهة الكتلة الأمريكية الكندية المكسيكية. إذن العالم كله تكلم بلغة التكتل ويتضامن بعضه إلى بعض إلا إيانا نحن العرب والمسلمين، فنحن للأسف كلما تكتل غيرنا تفرقنا نحن ويزداد يوماً بعد يوم تمزقنا في الصفوف واختلافنا في الكلمة وهذا لا يصب إلا في مصلحة أعدائنا الذين يريدون أن يلتهمونا واحداً بعد الآخر، فالإنسان لا يستطيع أن يلتهم الرغيف في لقمة واحدة ولكنه يقطعه لقمًا ثم يأكله ويمضغه بعد ذلك.. لهذا أدعو العرب خاصة والمسلمين عامة إلى أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفهم ويقفوا في جبهة واحدة ليحافظوا على كياناتهم ووجودهم، فلا بقاء في هذا العصر للتكتل الصغيرة إنما البقاء للتكتل الكبرى، ونحن - بحمد الله - أمة كبرى ٣٥٠ مليوناً من العرب ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين يمكنهم أن يكونوا قوة مؤثرة في هذا العالم خصوصاً أنهم يملكون من المقومات والطاقات ما يؤهلهم لذلك، فهم أولاً يملكون الطاقة البشرية العديدة كما يقول الشاعر وإنما العزة للكافرين.

قال تعالى: ﴿ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ﴾ فيجانب هذه الكثرة العددية لدينا الخبرات والقوة المادية الواسعة، فالعرب والمسلمون يملكون القوة المادية والاقتصادية من السهول والوديان الخصبة الواسعة الصالحة للزراعة. ومن البحار والبحيرات والأنهار الحافلة بالثروات البحرية والسمكية، ومن المعادن النافعة والنفيسة التي يحتاج إليها العالم، وحسبنا أن معظم احتياطي النفط والغاز في العالم في بلادنا العربية والإسلامية، وتملك القوة الحضارية والعمق الحضاري والتاريخي والثقافي فلسنا أمة حديثة العهد أو وليدة الأمس القريب كالولايات المتحدة أو استراليا، نحن نعيش في منبت الحضارات ومهبط الرسائل، في أرضنا في وطننا الإسلامي الأكبر نشأت الحضارات العربية الكبرى في تاريخ العالم الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والكلدانية والفارسية والهندية.. كل هذه الحضارات نشأت في أرض الإسلام الذي يعيش عليها المسلمون وهم ورثة هذه الحضارات، كما أن الأديان السماوية والرسالات السماوية

الكبرى نشأت فى ديارنا هذه، نشأت اليهودية ونزلت التوراة فى هذه الأرض . ونشأت المسيحية ونزل الأنجيل وبعث المسيح بن مريم فى هذه الأرض ونشأ الإسلام الذى يختم الله به الرسالات ونزل القرآن العظيم وبعث محمد بالرسالة الخالدة فى هذه الأرض فنحن وحدنا الذين نملك هذه الطاقة التاريخية الحضارية الهائلة، ونملك بعد ذلك كله - وفوق ذلك كله - القوة الروحية نملك الرسالة العظيمة التى بعث بها محمد رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين رسالة العدل والرحمة والوسطية والتوازن، التى وصلت الأرض بالسماء وربطت الدنيا بالآخرة ووازنت العقل والقلب ومزجت بين الروح والمادة ووفقت بين حرية الفرد ومصالحة المجتمع، هذه الرسالة هى سفينة الإنقاذ وطوق النجاة للعالم مما يعانیه من مادية مجحفة وإباحية مسرفة و شرود عن الصراط المستقيم، نحن المسلمین وحدنا الذين نملك الوثيقة الإلهية التى تجسد كلمات الله الأخيرة للبشرية والتى لم يعترىها أى تحريف أو تبديل، أنها القرآن الكريم الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى تولى الله تعالى حفظه بنفسه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ هذه الرسالة التى تعطى الإنسان الإيمان ولا تأخذ منه العلم، تعطيه الروح ولا تسلبه المادة . . تعطية القوة ولا تحرم عليه طيبات الدنيا، تربطه بالسماء ولكن لا تنزعه من الأرض، تأمره برعاية حق الرب ولا تحرمه من رعاية حظوظ النفس (إن لبدنك عليك حقا وإن لعينيك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا) وشعارها (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

نحن المسلمین نملك وحدنا هذه الطاقات كلها، والقوة البشرية والقوة المادية والقوة الحضارية والقوة الروحية، ولكن برغم هذه الطاقات والقوة التى لنا فنحن فى مجموعنا ضعفاء لأننا متفرقون والتفرق يضعف الكثرة، كما أن الاتحاد يقوى القلة، وكما يقال على مستوى الأفراد: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوى بجماعته، كذلك نقول على مستوى الأمة، والأمة قوية

بشعوبها إذا تضامنت وتلاحمت وأصبحت إرادتها واحدة ووجهتها واحدة وقرارها واحد، حينئذ تستطيع أن تؤثر إيجابيا فيمن حولها وما حولها تستطيع أن تشد أزر الصديق وترد كيد العدو ومن هنا أدعو أمة الإسلام إلى أن يتقاربوا ويتضامنوا وينسوا كل خلاف بينهم سعيا إلى الوحدة التي كانت قدر هذه الأمة وهدفها المنشود، ولهذا حضرت ندوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي دعت إليها المنظمة الإسلامية «ايسيسكو» للثقافة والعلوم بمدينة الرباط صيف ١٩٩٦ وقدمت ورقة في ذلك وتحدثت بصراحة مع الإخوة حجج الإسلام الذين جاءوا يمثلون المذهب الشيعي، وقلت إذا أردنا أن نقيم أمة إسلامية ووحدة إسلامية تقرب بين المذاهب الإسلامية تقريبا حقيقيا وليس مجرد كلام يقال أو شعار يرفع لابد أن نراعى أشياء مهمة هي :

أولا: أن نبتعد عن القضايا التي تثير الفرقة ولم يعد لها مبرر مثل سب الصحابة رضی الله عنهم، فلا معنى أن يشغل إخواننا الشيعة بذلك وقد أفضى الجميع إلى ربهم وانتهوا إلى ما قدموا، وقد قال عمر بن عبد العزيز عندما سئل عن الدماء التي سالت بين الصحابة فأجاب إجابة حكيمة وقال : تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلطح بها ألسنتنا .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ولا يمكن أن نتقارب دون ما يسب أحدنا الآخر أو رجاله أو مذهبه .

ثانيا : لا يجوز لأى من أهل السنة أو الشيعة أن يعمل على نشر مذهبه فى البلاد الخالصة للمذهب الآخر ولا يجوز للسنى أن يذهب لنشر المذهب السننى فى طهران أو قم، كما لا يجوز للشيعى أن ينشر المذهب الشيعى فى مصر أو الجزائر الخالصة للسنة، فما قيمة أن يزداد مائة أو مائتين للشيعة أو للسنة ولكنهم يثيرون الفرقة والخلاف، يجب أن نتفق على ذلك جيدا .

ثالثا : كذلك يجب أن يحترم كل منا حقوق الأقلية التي تعيش فى رحابه

وظله فإذا كانت هناك أقلية شيعية يجب أن نرعى حقوقها وأن يتمكنوا من أداء صلواتهم وعبادتهم، وإذا هناك أهل سنة في بلاد الشيعة وكذلك لو هناك شيعة عند أهل السنة - وهذا واقع فعلا - فهؤلاء يجب أن يعطوا حقوقهم الدينية والسياسية، ومن الناحية السياسية يجب أن يمثل أهل السنة أو الشيعة تمثيلا يكافئ عددهم في مجلس الوزراء وفي البرلمان مثلما يحدث في مصر، ففي مصر أقلية مسيحية يمثلون في مجلس الشعب والوزارات .

يجب أن نسعى وأن نرعى هذه الضوابط ونقرها على المستوى العلمي والنظري أمام القوى التي تريد أن تبتلعنا ولا تريد أن يكون لنا موضع، لو نجحنا في هذا بإذن الله فإن الطريق إلى التقارب سيكون سهلا، لأن ما يجمع أكثر مما يفرق بكثير والوحدة الآن هي ألزم ما تكون لأننا في معركة، وفي المعركة يجب أن ننسى كل خلاف .

نحن في معركة دينية وعسكرية واقتصادية وسياسية وعلى كل صعيد مع الأعداء وهذا يتطلب أن نضم الصفوف جميعاً ولا يجوز أن نقول شيعة وسنة والغرب يضرب السودان السنّي ويهددون إيران الشيعية فهم يريدون ضرب الشيعة، والسنة جميعاً .

وهذا هو الواجب الحتمى على أهل الدين وأهل الفكر وأهل السياسة في هذه الآونة الخطيرة في حياة أمتنا، أن يسعوا للتوحيد وللتقريب وينبغى أن يكون شعار الجميع القاعدة الذهبية التي وضعها رشيد رضا وتبناها الإمام حسن البنا «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بضا فيما اختلفنا فيه» وأعتقد أن ما نتفق عليه ليس بالهين أو القليل ويتطلب منا جهودا ضخمة، فلنتعاون في هذا الجانب والله يوفق الجميع ويهدينا سواء السبيل .

* * *

حوار مع الدكتور يوسف القرضاوى (١)

أجراه: رئيس التحرير

الأستاذ / محمد باقر الحكيم

كنت قد عرفت الشيخ يوسف القرضاوى من كتاباته الكثيرة، ومحاضراته المسموعة والمرئية، وعرفت فيه رجلاً يعيش الهمّ الإسلامى بأوسع معانيه. يفهم كل ما يدور فى الساحة الفكرية والاجتماعية ويعالجه على أساس من القرآن والسنة، وبلغه العصر، كما يتناول من القضايا ما يحتاجه العصر، وخاصة ما تحتاجه فئة الشباب.

حين زار الجمهورية الإسلامية بدعوة من المجمع العالمى للتقريب كان لا بدّ أن أتشرف بزيارته، التقيته فى محل إقامته، وما إن وقعت عينى عليه حتى تجسّم أمامى نصف قرن من تاريخ الدعوة والصحوّة والعودة، وما إن جلست إليه وفتحت معه أبواب الحديث حتى رأيت فى الرجل روح الشباب وتجربة الشيوخ، وعلم الأزهر، وتاريخ حسن البناء وحسن الهضيبى وسيد قطب ومحمد الغزالى. إنه تاريخ حىّ للصحوّة الإسلامية المعاصرة، وصوت معبّر عن إرادة هذه الأمة فى حياة إسلامية عزيزة كريمة، ورؤية مفعمة بالأمل فى مستقبل الإسلام على ساحة المعتزك الحضارى القائم.

كان من الصعب علىّ أن أطلب منه تسجيل مقابلة. ولذلك بدأت حديثى معه عن واقع التجزئة فى عالمنا الإسلامى، فطفق يتحدث عن هذه الحقيقة المرّة، وما عاناه هو فى حياته الدعوية من الحدود والسدود القائمة بين بلدان المسلمين.

(١) حوار أجرته مجلة (رسالة التقريب) التى تصدر من (طهران).

وحيثما بدأ الحديث عن همومه في التقريب وفي توحيد المسلمين، طلبت منه أن أسجل حديثه فرحب، ثم تواصلت الأسئلة، فكانت هذه المقابلة.

* بودى فضيلة الشيخ أن أسجل حديثكم بشأن هموم «التقريب» وهموم «الوحدة».

– مرحبا بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه . ربنا آتانا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

أما بعد فيسرني في بداية هذا القاء أن أحيى الأخوة في الجمهورية الإسلامية في إيران الشقيقة وأحيى على الأخص المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورسالته التى نعتز بها فى التقريب بين أبناء الأمة الواحدة .

وأود أن أقول: إن توحيد أبناء الأمة الإسلامية فى كتلة واحدة تقف أمام الجبهات المعادية والقوى المتربصة بالأمة هم من الهموم الكبرى التى أعيش لها وأموت عليها إن شاء الله .

فريضة وضرورة:

نشأت فى جماعة إسلامية ترى أن وحدة المسلمين فريضة وضرورة . فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع . كان الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه وأرضاه ممن ينادى بوحدة أمة الإسلام، فى مشارق الأرض ومغاربها . ويقول: إن القرآن عبّر عن الوحدة بالإيمان وعن التفرق بالكفر، حينما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

أسباب نزول الآية وسياقها يدل على أن معناها: يرودكم من بعد وحدتكم متفرقين، لأن اليهودى الذى أراد أن يفرق بين الأوس والخزرج حتى أن بعضهم نادى: السلاح السلاح .. إلى آخره . هو لم يفعل شيئا، إلا أنه أراد أن يفرق الأمة

بعد وحدتها .. قال: يردوكم بعد إيمانكم كافرين .. وقال ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [آل عمران: ١٠١] كيف تكفرون: كيف تتفرقون وكيف تتعادون بعد أن جمعكم الإسلام؟ فمن أجل هذا نشأت منذ بداية شبابي وأنا أو من بالوحدة، وكنا نحفظ من الشعر الذي ننشده في رحاب دعوة الإخوان المسلمين:

ولست أرضى سوى الإسلام لى وطننا
الهند فيه ووادى النيل سِيَّانِ
وكَلِّمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ فِي وَطَنِ
عَدَدتْ أَرْجَاءَهُ مِنْ لُبِّ أَوْطَانِي

وأنا أكدت هذا المعنى فى نشيد لى اسمه: «مسلمون». وفى وقت من الأوقات كانوا فى بلاد العرب - أيام مدّ القومية العربية - يتغنون ويتنادون بالعروبة ويكادون يتناسون الإسلام. وكل شئ: عرب عرب عرب ... عربا كُنَّا ونبقى عربا. وأنا فى هذا الوقت أنشأت نشيداً اسمه: مسلمون. والنشيد اشتهر وشرق وغرب و خاصة على لسان الشباب، وفى بعض البلاد اتخذه شبه نشيد وطنى، فى جمهورية اليمن فى أيام الارياى كان التلاميذ فى المدارس ينشدونه. والنشيد يقول:

مسلمون مسلمون مُسلمون حيث كان الحقُّ والعدلُ نكون
نرتضى الموتَ ونأبى أن نهون فى سبيل الله ما أحلى المنون
ويقول:

يا أخى فى الهند أو فى المغرب أنا منك، أنت منى، أنت بى
لا تسَلْ عن عُصْرِي عن نَسْبِي إِنَّهُ الْإِسْلَامُ أُمِّي وَأَبِي

إِخْوَةٌ نَحْنُ بِهِ مُؤْتَلِفُونَ

مسلمون مسلمون مسلمون

فهذا المعنى يسيطر من قديم على تفكيرى وعلى توجهى ونفسى . وأرى أن من الأمور الأساسية أن تكون هذه الأمة أمة واحدة .

أمة لا أمم

والله سبحانه يعبر عن المسلمين باسم الأمة . ولذلك أنا أخطئ الكتاب والمفكرين والخطباء الذين يقولون : الأمم الإسلامية، ليست هناك أمم إسلامية، هناك أمة إسلامية واحدة ذات شعوب إسلامية . يقول سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣] . وترديد كلمة «أمم إسلامية» انسياق وراء الاستعمار الذى يريد أن يجعل منا أمما، ونحن نريد أن نكون أمة كما أرادها الله، لا أمما كما أراد الاستعمار . قال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٢] .

توحيد الأمة من الأهداف الكبرى التى أعتبرها من رسالتى الأساسية، وينبغى أن تكون من رسالة كل داعية مسلم وكل عالم مسلم يريد أن ينهض باصلاح الأمة وتجديد الدين فيها .

فى تليفزيون قطر

كنت أذكر أمس موقفا لى حدث قريبا فى قطر . لى برنامج تليفزيونى هناك تحت عنوان : (هدى الإسلام) . وهذا البرنامج يُعرض منذ أن نشأ تليفزيون قطر حتى اليوم . والبرنامج إجابة على أسئلة ترد إلىّ وأنا أردّ عليها . فى الجمعة قبل الماضية جاءتنى رسالة من أحد الإخوة يقول لى فيها : أنا فلان بن فلان دخلت مسجدا من مساجد الدوحة لأصلى فيه، فإذا رجل يلمحنى فى المسجد فقام فى وجهى ثائرا وقال : مالك ولهذا المسجد؟ ما الذى أدخلك هذا المسجد؟ هذا مسجد لأهل السنة، وأنت لست من أهل السنة . أخرج من هذا المسجد يقول صاحب الرسالة : كدت أذوب خجلا من هذا الموقف، لولا أن بعض الحاضرين من أهل العقل والحكمة أسكتوا هذا الرجل . وخرجت وأنا فى غاية الخجل مما حدث .

أنا انتهزت هذه الفرصة، وتوجهت باللوم على من فعل هذه الفعلة، وقلت : هذا الرجل لم يفهم الدين ولم يفهم العلاقات بين الناس . المسجد مفتوح للمسلمين أى واحد يريد أن يصلى فيه فأهلا ومرحبا . بالعكس هذا الشخص الذى دخل مسجد أهل السنة ليصلى وهو شيعى إنما هون رجل رحب الأفق واسع الصدر ومتسامح وليس متعصبا . ولو كانت عنده عصبية عمياء لما دخل مسجدا من مساجد أهل السنة .

مثل هذا يجب أن نرحب به ولا نضيق به . وأخذت معظم الحلقة وهى من خمسين دقيقة حول هذا الموضوع والعلاقة بين السنة والشيعية، وبين أبناء القبلة الواحدة . والسلف عبروا عن وحدة هذه الأمة بعبارة موجزة معبرة إذ سموا المسلمين : أهل القبلة ما داموا يصلون إلى قبلة واحدة، فهذا هو الجامع المشترك . وفى الحديث : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو منا » فنحن أهل قبلة واحدة، ولا ينبغى أن يكون اختلاف المذاهب فى مسائل عائقا لنا عن أن تكون لنا أرضية مشتركة تكون أساسا لعمل مشترك لخدمة الإسلام ونصرة قصايا الإسلام وإعلاء كلمة الإسلام وتوحيد أمة الإسلام، والوقوف بوجه مكائد أعداء الإسلام . وهذا هو أساس فكرة التقريب .

فكرة التقريب

أنا أريد أتحدث عن فكرة التقريب، ماذا نريد من وراء التقريب؟ هل نريد أن نجعل السننى شيعيا، أو الشيعى سنيا؟ لا، هذا ليس مقصودا، ولو أردناه لكان خبلاً منا .

فاستقرار المذاهب أدى إلى أنه لم يعد من السهل أن يتحول فرد من مذهب إلى آخر . فلا ينبغى أن يكون هدفنا التحويل من مذهب إلى مذهب . ولا ينبغى أيضا أن يكون هدفنا رفع الخلاف . هناك بعض الناس داخل أهل السنة يريد رفع الخلاف بين المذاهب مع بعضها . يقولون : لا نريد التعبد على أى مذهب، نريد إلغاء المذاهب . هذا فى الواقع ليس ممكنا . قلنا لهؤلاء : لو فعلنا ذلك فسنزيد على

المذاهب الثمانية مذهباً تاسعاً، وعلى تعبير أهل السنة: نزيد المذاهب الأربعة مذهباً خامساً. لأن معنى ذلك أن تأتي بآراء جديدة يتبناها بعض الناس، وتصبح مذهباً، وهذا هو الواقع فعلاً. هؤلاء الذين ينادون بالغاء المذاهب كوتوا مذهباً آخر، ولكن ليس على رأسه مالك أو أبو حنيفة أو الشافعي أو جعفر الصادق أو زيد بن علي. إنما على رأسه أناس لم يبلغوا - على الأقل - هذه الدرجة.

الاختلاف ضرورة

لذلك أنا أقول: ليس المقصود من فكرة التقريب رفع الخلاف. الخلاف لا بد منه. وأنا ذكرت في كتاب لي تحت عنوان: «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» أن الاختلاف في فروع الفقه وحتى في فروع العقيدة سيظل قائماً، في مسائل العدل والتوحيد ورؤية الله في الآخرة ومسائل القدر وأفعال العباد ومقدار العلاقة بين القدرة الإلهية والقدرة البشرية، والارادة الإلهية والارادة البشرية، الناس سيختلفون في هذه الأمور.

وذكرت أن الاختلاف في الفروع «ضرورة» و«رحمة» و«سعة».

هو ضرورة دينية. وضرورة لغوية وضرورة بشرية. وضرورة كونية.

هو ضرورة دينية لأن الله سبحانه وتعالى لم ينزل كتابه كله آيات محكمات قاطعة الدلالة يجتمع عليها الناس ولا يختلفون. ولكن ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] النصوص التي جاءتنا: نصوص قطعية الثبوت في القرآن الكريم وبعض الأحاديث المتواترة وهي محدودة. ونصوص ظنية الثبوت وهي تشمل معظم الأحاديث. وظنية الدلالة وهي معظم النصوص سواء كانت نصوص القرآن أو نصوص السنة. لا يمكن أن تجزم بأن هذه هي الدلالة الوحيدة. بعضهم قال: كيف تردّ الحديث؟ أنت تقول باجتهادك وأنا أقول بالحديث! قلت له: يا أخي، صحيح أنت تقول بالحديث ولكن حسب فهمك. الحديث معصوم ولكن فهمك ليس معصوماً. كل واحد له فهم غير فهم الآخر تأخذ آية مثل آية الطهارة في سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ

إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴿٦﴾ [المائدة: ٦] فى الآية خلافات شتى: هل الواو فى الآية تفيد الترتيب أو هى لمطلق الجمع كما يقول النحويون؟ هل تشترط النية أو لا تشترط، الآية لم تقل بالنية، إنما هذا استنباط. هل الموالة شرط أو ليست شرطاً؟ فى الآية قراءة «وَأَرْجُلِكُمْ» و«أَرْجُلِكُمْ» فهل الآية تأمر بمسح الرجل كما يفعل الشيعة فى الوضوء أو غسلها؟ .. وهكذا .. فظنية الدلالة هذه أعطت متسعاً للخلاف. وتجد هناك جماعة يهتمون بظاهر النص وآخرين يُعَنون بفحوى النص. المدرسة الحرفية الظاهرية، ومدرسة المقاصد التى تُعنى بمقاصد الشريعة. وهؤلاء موجودون. كانوا موجودين من عصر النبوة إلى يومنا هذا، وسيظلون موجودين إلى ما شاء الله. الذين يهتمون بالمقاصد والذين يهتمون بالظواهر.

ومعروف فى السيرة النبوية قضية قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة». وفى الطريق حينما أوشكت الشمس أن تغرب، جماعة من الصحابة قالوا: إن الرسول ﷺ لم يرد منا أن نضيع الوقت، إنما أراد منا سرعة النهوض، فصلوا فى الطريق. وجماعة قالوا: لا، هو قال: فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة، ونحن لا نصلى إلا هناك، ولو وصلنا فى منتصف الليل. وحينما بلغ النبى ﷺ فعل هؤلاء وهؤلاء، لم ينكر على طائفة منهم. لأن كلا منهم اجتهد حسب رأيه، فأقر الطائفتين. هناك إذن مجال للاختلاف، حسب التوجه. هناك من ييسر ومن يشدد. وهذا ما سأذكره فى الضرورة البشرية.

فأنا أقول هناك ضرورة دينية. إن الدين أراد هذه السعة، وأراد أن يكون بهذه المرونة ليتسع لطوائف الناس المختلفة، للمضيّق والموسّع والمشدّد والميسّر والحرفى والمقاصدى. ولو كان حرفاً واحداً ووجهاً واحداً لضاق بالآخرين. فهذه ضرورة دينية.

وهو ضرورة لغوية لأن اللغة كما أشرت في الآية الكريمة: حقيقة ومجاز وصريح وكناية وعام وخاص ومنطوق ومفهوم، وما يُفهم بالعبارة وما يُفهم بالإشارة .. إلى آخره .. حتى إننا إذا بحثنا في علم «أصول الفقه» نجد الفقهاء والأصوليين اختلفوا في كثير من الأشياء: هل العامل دلالته قطعية أو دلالته ظنية؟ وإلى أى حدّ يخصص الخاص العام، ويقيد المقيد المطلق؟ ومفهوم المخالفة ما دلالته؟ وأشياء كثيرة، وهذه مباحث لغوية في الحقيقة، ولذلك علم الأصول فيه مباحث هامة أساسها لغوية.

وهؤلاء الذين يبحثون في علم اللغة أغفلوا مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية وهو علم أصول الفقه والمباحث اللفظية واللغوية فيه. هذه اللغة تتسع .. قال قوم في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامِسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المستهم] بمعنى وضع البشرة على البشرة. وهذه هي الملامسة بينما قال آخرون - كما جاء عن ابن عباس - إن المسه واللمس واللامسة في القرآن كناية عن الجماع إن الله حيي كريم يكتنى عما شاء بما شاء. فلامستم يعني الاتصال الجنسي كما جاء في مواقع أخرى: ﴿إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ ليس بمعنى المس هنا وضع البشرة على البشرة. وحينما قالت مريم (ع): ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرًا﴾ [آل عمران: ٤٧] فهل يعنى أنه لم يضع بشرته على بشرتي؟! فهناك كنايات وهناك مجازات، والفقهاء يحتلفون في هذه المسائل.

الاختلاف أيضا ضرورة بشرية، لأن البشر يختلفون مع بعضهم في التوجهات النفسية والفكرية. عُرف في التراث الإسلامي: شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس. قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك: أريدك أن تصنف كتابا تتجنب فيه شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، وتوطأه للناس توطيئا .. هؤلاء صحابة .. ولكن لكل شخصيته التي تختلف عن شخصية الآخر. ابن عمر مشدد كان يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى ويُجرح. قيل

له: لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟ دع هذا لمن يأتون من بعيد .. من أفريقيا ومن البلاد البعيدة .. إنما أنت قرب الحجر. بَعْدَ الْحَجِّ قَبْلَ الْحَجْرِ كَمَا تَشَاءُ. فقال: هفت القلوب إليه فأحسبت أن يكون فؤادى معهم. أما ابن عباس فيقول: (فى تقبيل الحجر والتماسه) لآ يؤذى ولا يؤذى. والله خلق الناس هكذا. عندما تنظر إلى موسى وهارون عليهما السلام. كلاهما نبيّ ورسول من الله، ولكن لكل منهما طبيعة غير طبيعة الآخر، مع أنهما من أب واحد وأم واحدة. موسى قوى شديد: ﴿فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾

[القصص: ١٥]

حينما جاء ورأى القوم قد عبدوا العجل ألقى الألواح التى كتبت فيها التوراة من الغضب، هو غضب الله. وأمسك برأس أخيه يجره إليه قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا بُنُومُ لِمَ تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

[طه: ٩٢ - ٩٤]

ثم إن الاختلاف ضرورة كونية لأن الله خلق الكون مختلفا ألوانه. وهذه العبارة تتردد كثيرا في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧ - ٢٨].

فاختلاف الألوان والتنوع هو مصدر ثراء للحياة فى كل جانب من الجوانب، فينبغى أن لا نضيق بالاختلاف لأنه يعطينا رؤى متعددة ووجهات نظر متنوعة. وقد تصلح رؤية لوقت ولا تصلح لآخر، ويصلح رأى لبيئة ولا يصلح لآخرى، ويصلح فكر لزمن ولا يصلح لآخر. فعندما تكون عندنا هذه الرؤى وهذه الآراء المتعددة تعطينا ثروة هائلة نستطيع أن نغترف منها ونستفيد منها فى إصلاح دنيانا، ونستفيد منها للتشريع فى عصرنا المتجدد المتطور.

* مع كل هذه الضرورات نرى فى المجتمع الإسلامى حالة تمزق وتشردم هى أقرب إلى العشائرية منها إلى الأمة، فما هو السبب؟

- المسلمون ينقصهم قراءة الإسلام بشكل صحيح وقراءة الواقع بشكل صحيح. أكثر المظاهر السلبية التى تسود فى العالم الإسلامى ومنها حالة التشردم تعود إلى هذا النقص.

هب أننى مختلف مع الشيعى فى بعض المسائل. هل هذا يمنع أن نقف صفا واحدا فى القضايا المصيرية؟ ليختلف الناس. فالناس سيظلون مختلفين. ولكن هناك قضايا تلزمنى بأن أضع يدي بيد أخى وجارى وابن عمى ومن بينى وبينه صلة ما لمواجهة الخطر الأكبر.

القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرصُوعٌ﴾ [الصف: ٤] أى ساعة المعركة يجب أن تنسى الخلافات الجزئية والجانبية كلها ويقف الناس صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص. لا يعلو صوت على صوت المعركة. لو عرفنا أننا فى معركة واحدة، وأن عدونا واحد، وأننا نواجه مصيرا واحدا لما سمحنا لهذه العصبية العشائرية والقبلية. الإسلام جاء وقضى على هذه العشائرية والقبلية وقال عنها: إن هذه جاهلية. دعوها فإنها منتنة. واعتبر من دعا إلى عصبية فليس من المسلمين. . . ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية. . . ومن قتل فى هذا فقتلته جاهلية. فيجب أن نبرأ من هذه العشائرية ونتكلم بمنطق الأمة الواحدة.

لو فقهننا منطق العصر لعرفنا أنه التكتل وليس التمزق الكيانات الصغيرة لا حياة لها ولا وجود لها. لا يمكن أن تقوم وأن تستمر فى هذا العالم إلا بضممان القوى الكبرى. إذا أردت أن تعيش فى هذا العالم وأنت صغير لا بد أن تحتفى بكبير ما، وبهذا تكون قد فقدت إرادتك وحريرتك واستقلالك وأصبحت ذنبا لغيرك.

الكيانات الآن فى العالم تتكتل وتتضامن وتتلاحم بعضها مع بعض. رأينا

التكتل الأوربي . أوروبا تتحكتل بشكل سياسى وبشكل اقتصادى وبشكل ثقافى . ورأينا ذلك فى أمريكا وكندا .. المسلمون أيضا بحاجة إلى أن يتكتلوا، وهم أولى من غيرهم بذلك . لا يمكن أن يعيشوا، لا يمكن أن يدخلوا عصر التكنولوجيا المتطورة دون تكتل .

نحن نرى الآن فى أوروبا أن أكثر من دولة من الدول الصناعية الكبرى تشترك فى صنع طائرة ذات إمكانات ضخمة لا تستطيع دولة من الدول الكبرى بمفردها أن تصنعها . بل قيل : إن عددا من الدول الكبرى تشترك فى صنع محرك طائرة . فكيف نستطيع نحن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، وعصر الثورات : الثورة الفضائية والثورة التكنولوجية والثورة المعلوماتية .. كيف نستطيع أن ندخل هذا العصر فرادى مبعشرين .. لا يمكن إلا أن نكون كيانا كبيرا . المرء قليل بنفسه كثير باخوانه .. ضعيف بمفرده قوى بأتمته . نحن - كأمة - قوة كبرى . إنما نحن كشعوب وكأوطان مزقتها الاستعمار، وجعل الدول القطرية هى الأساس لا يمكن أن يكون لنا وزن وأن يكون لنا شأن فى العالم بهذا التمزق .

الله سبحانه ينبهنا إلى حقيقة كبرى حين يقول : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] والفقهاء عندنا يقولون : الكفر كله ملة واحدة . «إلا تفعلوه» أى إن لا يوالى بعضكم بعضا ويساند بعضكم بعضا، ويتلاحم بعضكم مع بعض ويتكتل بعضكم مع بعض تكن فتنة وفساد كبير، لأنه سيكون التكتل فى جانب الباطل والتمزق فى جانب الحق، وهذا فتنة فى الأرض وفساد كبير . فالواقع يحتم على المسلمين والدين يحتم على المسلمين أن يتلاحموا فيما بينهم، وأن يبحثوا عن القواسم المشتركة، لا أن يبحثوا عن نقاط التمايز والاختلاف . إذا بحثت عن نقاط التمايز والاختلاف سأجد بينى وبين الشيعة، بل سأجد بين مذاهب أهل السنة تمايزا واختلافا . جماعة تهاجم الأشعرية والماتريدية، وهم من أهل السنة . وهناك حرب

بين الصوفيين والسلفيين .. وبين وبين .. إنما الأولى أن نبحث عن القواسم المشتركة ونكوّن الأرضية التي ننتقل منها لاعلاء شأن الإسلام ومجابهة أعداء أمة الإسلام ورسالة الإسلام، وتقوية هذه الأمة حتى تقوم برسالتها .

* المشكلة ليست فى عامة الناس فحسب بل المشكلة فى العلماء أيضا . هذه الفتاوى الشاذة والمواقف المتطرفة التى تصدر عن يسمون أنفسهم علماء بتكفير هذا وإحلال دم ذاك تزيد الطين بلةً وتعمل على مزيد من التمزيق، ما رأيكم فى ذلك؟

- كان لى حديث أخيرا مع بعض العلماء الأفاضل، وتحدثنا عن هذا الموضوع، وقلت لهم: الآفة ليست فى العامى المحض ولا فى العالم الخالص . العالم الحقيقى ليس من ورائه شر إن شاء الله . والعامى المحض ليس من ورائه شر أيضا، لأنه يتبع العالم فى الغالب ويسأله . إنما المشكل فى أنصاف العلماء .

قالوا: إنما أفسد العالم هؤلاء الأنصاف، نصف طبيب ونصف نحوى ونصف متكلم ونصف متفقه . نصف الطبيب أفسد الأبدان، ونصف النحوى أفسد اللسان، ونصف المتكلم أفسد الأديان ونصف المتفقه أفسد البلدان بفتاواه .

هؤلاء الأنصاف .. هؤلاء الذين قرأوا بعض الكتب فى الأحاديث واستمعوا إلى بعض الأشرطة رأوا أنهم أصبحوا أئمة، وينظر بعضهم إلى نفسه أنه شيخ الإسلام . وإذا قيل له: أبو حنيفة قال كذا ومالك قال كذا، يقول: هم رجال ونحن رجال!!

هذا «المفعوص»! كما نسميه يعتبر نفسه رجلا رأسه برأس أبى حنيفة ومالك!! هذه هى المشكلة . هؤلاء غالبا لم ينشأوا النشأة الإسلامية الصحيحة، ولم يأخذوا العلم من أهله . كان السلف يقولون: لا نأخذ العلم من صحفى، ولا القرآن من مصحفى . والمصحفى هو الذى تعلم القراءة من المصحف فقط ولم يتلق القرآن من قارئ مجيد يلقنه القرآن كلمة كلمة وحرفا حرفا . إذا أردنا أن

نتعلم القراءة وعلم القراءات لا بد أن نأخذه عن شيخ مُقرئ. وكذلك لا نأخذ العلم عمن أخذ علمه من الصحف ومن الكتب ولم يتلقاه على يد الشيوخ المتقنين.

لا بد أن يترتب في الحلقة العلمية وفي جو العلم وفي مناخ العلم. العلم له جوّ وليس مجرد أنك تقرأ كتابا وتفهم العبارات فهما قد يكون خاطئا، لأنك لم تجد من يسدّدك ويرشدك ويبين لك خطأك.

هؤلاء في الغالب يكونون من هذا النوع.. الصحفيون، أخذوا العلم من الصحف ولم يأخذوه عن أهله وشيوخه المتقنين له.

نحن في حاجة أن نوعي الأمة على خطر هؤلاء، وأن نقف بوجه هؤلاء الذين اجترأوا على الفتوى. العلماء الكبار يتهيبون الفتوى. وأنا أحيانا أُسأل، وتأتيني رسائل فأوجّلها.. وأؤجلها، لأنى لم أكون رأيا فيها ناضجا استريح إليه. وهؤلاء يفتون في أعوص المسائل وفي أخطر القضايا، فلذلك نقول: يجب أن نحذر من هذا الشباب الذى وضع نفسه موضع الفتوى وموضع التوجيه فى قضايا الأمة، ويجب أن تكون الأمة على وعى وبصيرة فى هذه الناحية. فمهمتنا توعية الأمة فى هذه القضية والتحذير من هؤلاء الذين ابتليت بهم أمتنا فى العصر الأخير.

* عاصرتم الصحوة أكثر من نصف قرن، وعشتم أحداثها وكتبتم عنها، ما هو رأيكم فيمن يقول إنها هيجة عارضة وردد فعل عابرة سوف تنتهى عاجلا؟.

– القوى المعادية للأمة الإسلامية أقلقتها هذه الصحوة وأزعجتها وزلزلت كيانها، وأرادت أن تخترع لها أسبابا ودواعى وبواعث. هناك من قالوا: إن هذه الصحوة ذات أسباب اقتصادية. البطالة فى البلاد الإسلامية ومشاكل الشباب. وهناك من قال: إنها ردة فعل نتيجة الأحياط تجاه ما قامت به الأنظمة فى البلاد الإسلامية. وهناك من قال فى مصر: إن هذه الصحوة صنعها أحد حكام مصر ليضرب الشيوعيين.

كأن هذه الصحوة قطعة من العجين تشكلها كيف تشاء ..

هذه صحوة هائلة .. صحوة أمة. وهي صحوة عالمية، وليست في بلد واحد. وإذا كان هذا الحاكم صنعها في مصر، فما الذي صنع الصحوة في إيران وباكستان وأفغانستان وفلسطين والجزائر، بل ومن الذي صنع الصحوة خارج العالم الإسلامي أنا من الرحالة الذين يطوفون في الأرض، وجدت هذه الصحوة حتى خارج العالم الإسلامي، في أوروبا وأمريكا الجنوبية وفي الشرق الأقصى. حيثما ذهب في الأرض وجدت هذه الصحوة.

قد تكون هذه الأسباب التي يذكرونها من الأشياء المعينة، ولكن الأساس في الأمة الإسلامية هي أنه يمكن أن تنام ولكن لا يمكن أن تموت. فهناك قرآن يتكرر على أسماعها آناء الليل وأطراف النهار، وهناك سيرة نبوية وسنة محمدية، وهناك تاريخ حافل وحضارة، وهناك تراث شامخ وثرى. هذا كله يغذى هذه الأمة ويجعلها لا تستسلم للنوم الطويل. قد تنام فترة من الزمن ولكن لا بد إن تستيقظ. وعلى فترات التاريخ الأمة أصابها ما أصابها ولكن كانت تخرج بعدها إلى استعادة دورها. الصليبيون هاجموا من الغرب والمغول من الشرق، ولكن الله هباً لها رجالاً أيقظوها من سبات، وجمعوها من شتات، وأحيوها من ممات، أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين الشهيد محمود، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وغيرهم من الذين تصدوا لهذه القوى وردّوها مدحورة وعادت الأمة من جديد.

في عهد الاستعمار، الاستعمار دخل بلاد المسلمين وقاومت الأمة، وكان الذي يحرك الأمة لمقاومة الاستعمار هو الدين كما شهد بذلك المؤرخون بما فيهم الغربيون. برنارد لويس قال: إن الحركات الدينية وعلماء الدين كانوا هم المحركون الأوائل لحركات التحرير في العالم الإسلامي، وهذه حقيقة، فاستطاع هؤلاء أن يحركوا الأمة. وقام مجددون في كل جهة من جهات الإسلام ومصلحون يعمل كل في تحريك الأمة. وحركات التجديد والإصلاح والإيقاظ صنعت صنعها حتى تفجرت في هذه الصحوة.

فليس الصحوة وليدة اليوم أو بنت أمس وإذ ذُكرتُ الصحوة فلا بد أن أذكر كل من ساهموا فيها من جمال الدين الأفغانى إلى محمد عبده، إلى عبد الرحمن الكواكبي إلى محمد إقبال إلى شبلى النعمانى، إلى حسن البنا، إلى سيد قطب، إلى مصطفى صادق الرافعى، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمى والشيخ الثعالبي إلى محب الدين الخطيب .. هناك كوكبة هؤلاء كلهم ساهموا، حتى جاء الوقت الذى تفجرت فيه هذه الصحوة .

وهى ليست مجرد صحوة ذات جانب عاطفى، وجانب حماس . والحماس مطلوب أيضا فى الصحوة، ولكنها صحوة عقول أيضا، تقرأ الكتاب الإسلامى .

المعارض الدولية للكتاب أثبتت أن الكتاب الأول وصاحب الرقم الأول فى التوزيع هو الكتاب الإسلامى . فهى إذن صحوة عقول، فيها وعى، وصحوة إرادات وعزائم، ولذلك وقفت أمام الاستعمار ووقفت أمام القوي الغازية . هى صحوة سلوك والتزام . ظهر هذا فى المساجد التى عَمرت بالشباب . كانت المساجد لا يعمرها إلا الشيوخ الكبار . والآن اذهب إلى أى بلد إسلامى تجد أن الذين يعمرون المساجد هم الشباب . انظر إلى مواسم الحج والعمرة، كان الذين يذهبون إلى مواسم الحج والعمرة الشيوخ الكبار، كما قال الإمام الغزالي : الحج هو تمام الأمر وختام العمر . يختمون حياتهم بالحج . والآن اذهب إلى العمرة فى رمضان تجد تسعين بالمائة من الشباب . وهكذا فى مواسم الحج .

المرأة فى البلاد الإسلامية كانت قد تفسخت تفسخا تاما، كنت أمشى فى الستينات فى عواصم البلاد العربية فلا أكاد أجد امرأة محجبة، حتى المرأة العجوز التى أكل الدهر عليها وشرب كانت متخلعة . ثم جاءت هذه الصحوة فإذا بالشابات المسلمات فى الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس وفى شتى ساحات الحياة يلتزم الحجاب . هذه حركة إسلامية نسائية اختيارية طوعية هذا كله من عمل الصحوة . رأيت فى الجزائر انتشار الحجاب انتشارا هائلا بعد أن كان قليلا .

ثم إن هذه الصحوة أثبتت وجودها على الصعيد الاقتصادي . قامت البنوك الإسلامية . والمؤسسات التجارية الإسلامية، وانتشرت في أنحاء العالم . وهذا كله جاء نتيجة من شعور المسلم السبى تجاه المعاملة بالربا، وحاجته إلى مؤسسات تغنيه بالحلل وتجنبه الحرام .

على المستوى الجهادى . الجهاد فى أفغانستان كيف قام؟ وإن كان إخواننا مع الأسف فى أفغانستان قد خذلونا ولم يؤت جهادهم بالثمرة التى كنا نرجوها، ولكن هذا الجهاد دوّخ أعتى دولة سلحة فى الأرض والقوة الثانية فى العالم على يد الأفغان، هذا من أثر الصحوة . ولم يكن جهاد الأفغانين وحدهم، بل كان جهاد رجال الصحوة فى العالم بالمال والرجال .

فى فلسطين، إخواننا فى حماس وفى الجهاد الذين زلزلوا بعملياتهم الاستشهادية كيان العدو، وإخواننا فى حزب الله بجنوب لبنان . هذا كله من أثر الصحوة الإسلامية . التنادى بتطبيق الشريعة فى العالم .. من أين جاء؟ هذا كله من أثر الصحوة .

ونحن الآن فى إيران .. الثورة الإسلامية التى قامت فى إيران، وأقامت دولة للإسلام فى إيران . من أين جاءت هذه الثورة .. هى ثمرة من ثمرات هذه الصحوة . الصحوة الإسلامية أثبتت وجودها . والقول إنها مجرد ردّ فعل ومجرد هوجه عاطفية وزوبعة فى فنجان، هذا تهويم من قدر هذه الصحوة العظيمة .

صحيح أنها تحارب الآن ويكال لها من كل جانب، وتوضع أمامها العقبات من هنا وهناك .. ولكن نحن نعتقد أن الصحوة لن تموت إن شاء الله، وأنها باقية وستستمر وستنتصر بإذن الله والمبشرات عندنا أكثر من العقبات .

* صدرت عنكم أخيرا فتاوى مثيرة بشأن الربا وبشأن «زواج الميسار» ودار حولها كلام كثير فما هى حقيقة هذه الفتاوى؟

- بالنسبة إلى ما أثير حول مسألة الربا فهو موضوع أفتيت به الأخوة أخيرا فى أمريكا وأوربا . لقد كنت من المتشددى فى هذا الموضوع منذ مدة طويلة، منذ

٢٥ سنة وأنا أزور أمريكا وأوروبا في المؤتمرات الإسلامية والندوات، وخاصة مؤتمرات الطلبة المسلمين. وكنت أسأل في قضية التعامل بالربا، وخاصة في قضية شراء البيوت، وكنت مشدداً في هذا، وأرى المنع.

ولكن منذ سنوات تغير اجتهادى في هذا، وأصبحت أفتى بمذهب أبى حنيفة، الذى يقول: يجوز التعامل بالعقود الفاسدة في دار الحرب.

ويقصد بدار الحرب ما ليس بدار الإسلام، لأن التقسيم عنده ثنائى: دار حرب ودار إسلام، وليس عنده التقسيم الثلاثى الذى قال به بعض الفقهاء وهو: دار الإسلام ودار الحرب ودار العهد. فدار الحرب عنده ما ليس بدار الإسلام.

يقول أبو حنيفة إن التعامل بالعقود الفاسدة في تلك البقاع جائز للمسلم بشرطين:

الأول: أن لا يكون في ذلك غدر ولا خيانة. أى أن يراعى المسلم العنصر الأخلاقى في تعامله.

الثانى: أن يكون من وراء ذلك مصلحة للمسلم. ووجدت هذا معقولاً، فليس من المعقول أن يأتى الإسلام ليطعم المسلم لغير المسلم، ويجعل المسلم يخسر ماله. قال أحد الأخوة: أنا جئت إلى هنا منذ ٢٥ عاماً، ولو كنت من أول ما جئت اشتريت بيتاً بقرض ربوى من البنك لكنك منذ ذلك الوقت صاحب بيت وكان هذا الإيجار الذى دفعته قد سدّد ذلك القرض.

أنا رأيت في الحقيقة أن فتوى أبى حنيفة تحقق مقصد الشريعة في إعلاء شأن المسلم. والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، لا يمكن أن يخسر المسلم بالإسلام بينما يكسب غيره.

أما قضية زواج «المسيار»^(١) فهي أحدثت أخذاً ورداً وجذباً وشداً. حين سئلت في برنامج تلفزيونى عن هذا اللون من الزواج قلت: أنا لا تهمنى التسمية

(١) لعلم القارئ: إن زواج المسيار كما يسمونه يعنى أن يتزوج رجل بامرأة دون أن يبقى عندها، بل يمرّ عليها بين فترة وأخرى. ويكون دون علم الزوجة الأولى عادة. (التحريم).

العبرة فى الأحكام الشرعية تدور على المسميات والمضامين لا على الأسماء والعناوين .

الذى يهمنى من الزواج أن تتحقق مقومات معينة فى هذا العقد . الإيجاب والقبول - وأن يوجد شهود على الأقل شاهدان وهذا هو الحد الأدنى للشهاد والإعلان من الناحية الشرعية فى نظرى - ومالك والشافعى وأحمد يشترطون الولى . قلت لهم : فى بلدان منطقتنا يجب أن يكون الولى - ثم أن يوجد مهر : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] - الأمر الآخريّة الاستمرار . وإذا وجد الزواج بهذه الأركان والشروط ، ما المانع منه ؟ قالوا : ليس فيه الزواج الكامل . أى إن الرجل لا يبقى مع المرأة مستمرا ، يذهب إليها فى بعض الأحيان . قلت : ليس من الضرورى أن يحقق الزواج أهدافه المثالية كاملة . الزواج المثالى أن يعيش معها . ولكن هذا زواج يحقق بعض الأهداف ، فهو يحصّن المرأة ويعفّقها ، ويحصّن الرجل ويعفه . بدل أن يفكر الرجل أو تفكر المرأة فى الحرام يرتبطان برباط حلال شرعى .

قد تكون المرأة عندها بيت ، ولا تريد أن تنتقل إلى بيت الرجل ، وعندها مال ، والمرأة فى عصرنا أصبحت فى كثير من الأحيان لديها موارد ، مدرسة .. طبيبة صيدلية .. محامية . ثم إن كثرة كاترة من النساء فى منطقتنا عوانس ، وقد فاتهن قطار الزواج ، إذا أضفت اليهن المطلقات وهن كثر أيضا فى المنطقة مع الأسف والأرامل ، أصبح عندنا عدد كبير . فإذا استطعنا أن نحل مشكلات هؤلاء الناس بهذا الزواج فما المانع ؟ قال أحدهم : هل يمكن أن يتزوج شخص من أجل المتعة فقط ؟ قلت : لمض لا يا أخى . هو الإحصان . أنا أحصّن نفسى بالحلال وأحصّن المرأة بالحلال ، هذه قيمة كبيرة . فى الحديث الصحيح : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج » . فأشار إلى مسألة العفة ، ومسألة العفة والإحصان قيمة كبيرة عندنا فى الإسلام .

الغربيون سلكوا لاطفاء الشهوة طريق الإباحية، عن طريق ما يسمونه بوى فريند، أو جيرل فرند. ولكن نحن لا نقبل هذا فى الإسلام. لا نقبل العلاقة إلا ضمن رباط شرعى. فما المانع أن نبیح هذا ونجيزه لیتمتع الناس بالحلال، وكثيرا ما ینقلب هذا إلى زواج عادى رب رجل توفیت زوجته الأولى فتصبح هذه الزوجة هى الأصلية ويبقى معها دائما. فهذا هو زواج المسيار، وأنا كتبت فيه بحثا نشرته الصحف القطرية وبعض الصحف الخارجية.

بالمناسبة أنا تحدثت فى كتابى «الحلال والحرام فى الإسلام» عن زواج المتعة والخلاف فيه. بعض الناس عقّبوا على هذا الموضوع. وقالوا: ما كان للشيخ القرضاوى أن يشير إلى الخلاف فى زواج المتعة. وكان لا بد أن يقول إنه حرام قطعاً قولاً واحداً، ولا يثير أى خلاف فيه. وأنا رددت عليهم: وقلت أنا أحرص أن تظل الأحكام فى مرتبتها الشرعية. أى توجد أحكام إجماعية لا خلاف فيها، يجب أن نذكر أنها إجماعية. وأحكام مختلف فيها، يجب أن تبقى وإلا غيرنا طبيعة الحكم. هذا أمر قال به الشيعة، وروى عن ابن عباس. قالوا: إن ابن عباس رجع عنه، وروى الخلاف فى رجوعه، هل رجع أم لم يرجع، لأن بعض تلاميذ ابن عباس ظل يفتى بالمتعة. هذه القضايا يجب التسامح فيها، وترك كل مذهب على رأيه، ولعل فى هذا توسعة على بعض الناس.

* الموقف الإسلامى من الغرب وتياراته الفكرية لا يزال الحديث الأول فى الساحة الإسلامية، ما رأيكم فى الموقف الصحيح من الثقافة الغربية؟

– بالنسبة إلى الموقف من الغرب وتياراته وفلسفته وثقافته وحضارته هناك من يرى ضرورة التحصن أمام كل ما يرد من الغرب ومنع أى تعامل مع تياراته المختلفة وأن نعيش فى الصومعة معزولين عن كل ما يجرى حولنا. وهو تيار لم يعد ممكناً فى هذا العصر.

ربّما كان ممكناً فى وقت من الأوقات .. أيام الإمام يحيى فى اليمن. كان يريد اليمن بعيداً عن كل تأثير غربى، بل بعيداً حتى عن منتجات المدنية الغربية

كالقطارات والسيارات . وإنما ينتقل من مدينة إلى مدينة على ظهور الخيل والبغال والحمير . وكان يقول : الحمار ولا الاستعمار .

لم يعد هذا ممكنا . أصبح العالم متقاربا . أصبح كما يقولون : قرية كبرى . وأنا أقول : أصبح قرية صغرى . فى القرية الكبرى قد لا يعلم الناس ما يجرى فى أطرافها . ونحن نعلم ما يجرى فى العالم خلال دقائق ، بل لحظات ، بل فى نفس اللحظة .

لا يستطيع الإنسان أن يعيش فى عزلة .

. وهناك موقف مضاد للأول ، يرى ضرورة الذوبان فى الغرب . دعا إليه فى العالم العربى سلامه موسى وطه حسين وغيرهما .. دعوا إلى أن نأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرّها ، وما يُحِبُّ منها وما يُكره ، وأن الحضارة لا تتجزأ ، لا يجوز أن نأخذ الجانب العلمى أو التكنولوجى منها ولا نأخذ الجانب الفلسفى والفكرى والقيمى والتشريعى . إما أن تأخذها كلها أو تدعها كلها . وهذا غلط .

وهناك رأى وسط - وهو الذى نتبناه - فى التعامل مع الغرب . نأخذ منه ما يلائمنا ، وندع ما لا يلائمنا . يلائمنا من الغرب العلوم الطبيعية والرياضية والتكنولوجية وتنظيم الإدارة والمنجزات الكثيرة فى تهيئة الطبيعة لخدمة الإنسان ، والعمل على رفاهية الإنسان وتحسين صحته وأمثال ذلك .. هذه نأخذها من الغرب ، وفى الواقع أننا حين نأخذها من الغرب ، فهى بالمنظار التاريخى الصحيح بضاعتنا رُدَّتْ إلينا . لأن الغرب إنما أخذ المناهج العلمية والتجريبية منا نحن المسلمين . نحن الذين علّمنا الغرب هذه المناهج وأخرجناها من الفلسفة التجريدية النظرية إلى التطبيق وإلى الاستقرار وإلى التجربة .

المسلمون قرروا هذا المنهج نظريا وطبقوه عمليا على يد الأطباء المسلمين والفلكيين والرياضيين وغيرهم من العلماء الذين كانت أسماؤهم أشهر الأسماء

فى العالم فى ذلك الوقت وكانت كتبهم مراجع للعالم وكانت اللغة العربية التى كتبت بها هذه العلوم هى اللغة الأولى .

الرازى فى كتابه الحاوى، أو ابن سينا فى كتابه القانون، أو ابن رشد فى كتابه الكلبيات، أو الزهراوى فى كتابه التصريف . . كتبوا هذه الكتب، وترجمت إلى اللاتينية وانتفع بها الأوربيون .

نحن فى الواقع حين نأخذ من الغرب العلوم الرياضية والطبيعية وانجازاتها وتطبيقاتها التكنولوجية، إنما هى بضاعتنا تُردُّ إلينا .

إنما الذى ينبغى أن لا نأخذ من الغرب هو الجانب الآخر المتعلق بالقيم وفلسفة الوجود والحياة . . الأسس الفلسفية . نظرة الفرد إلى الكون والحياة وإلى المجتمع وإلى التاريخ، نظرتة إلى القيم وإلى الوجود وإلى ربّ هذا الوجود . هذه يجب أن نأخذها من الإسلام .

الخطر الآن أن هناك من يريد أن يجعل من ثقافة الغرب وحضارة الغرب بأنها « كونية » يقول هذه ليست ثقافة تختص بالغرب، وإنما هى ثقافة الكون والعالم . وهذه مغالطة من دون شك . هذه الثقافة تحمل فلسفة الغرب ونظرة الغرب إلى الدين وإلى الحياة وإلى الله .

ولكل أمة خصوصيتها . ونحن لنا خصوصيتنا ولا ينبغى أن نلغى خصوصيتنا ونذوب فى غيرنا وننماع . لهم دينهم ولنا ديننا . لهم قيمهم ولنا قيمنا . لهم شرائعهم وقوانينهم ولنا شرائعنا وقوانيننا . فيجب أن تظل كل أمة متميزة بحضارتها وثقافتها وقيمها الموجهة لها والمحركة لأبنائها . ونحن أبناء حضارة متميزة وتتميز حضارتنا بأنها جمعت بين العلم والإيمان، أنزلت الروح بالمادة، العقل بالقلب، السماء بالأرض . لم يكن عندنا انفصال بين هذه الأشياء ولا عداوة بين هذه الأشياء لم يعاد الدين العلم فى تاريخنا، بل العلم عندنا دين والدين عندنا علم . لم يوجد فى تاريخنا ولا فى تراثنا صراع بين هذه المتقابلات كما حدث فى الغرب وفى كنيسته . وثار الناس على الكنيسة لأن الكنيسة

وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضد التحرر، ومع الظلم ضد العدل، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الاقطاعيين ضد الفلاحين والمستضعفين في الأرض. نحن لم نفعل ذلك، ولا نتحمل تاريخ غيرنا.

لا بد أن نفقه هذا ونقف من الغرب الموقف العدل، ونحذر من الغزو الذي يشنه الغرب ثقافيا. الغرب رحل بعساكره ولكن يريد أن يفرض سيطرته بثقافته ومفاهيمه وقيمه. وخاصة في عصرنا هذا الذي يسمى عصر «العولمة» وعصر «الأقمار الصناعية» و«القنوات الفضائية» و«البث المباشر». ولم يعد من السهل أن تعيش الأمة في برجها العاجي أو في صومعتها المنعزلة. ينبغي أن نعدّ العدة لمواجهة هذا الغزو. لا يكفي أن نقول هذا حرام.. لا بد أن نوجد بدائل. وكل شئ باطل له بديل من الحق. وكل شئ من الحرام له بديل من الحلال. المفروض علينا نحن المسلمين أن نهى هذه البدائل الإسلامية لنواجه بها أباطيل الغرب خصوصا في عصر الغزو الكبير هذا. الذي لم يعد مقصورا على كتاب وعلى مبشر أو مستشرق إنما أصبح بهذه القنوات والوسائل الكبيرة التي تؤثر في شعوب بأكملها.

* بالنسبة لمسألة التحصين الثقافي، ما هي كتبكم التي تعطونها الأولوية في قدرتها على إعطاء هذا التحصين بإذن الله؟

– تعلم أن كل مؤلف يعتبر كتبه مثل أولاده، وتفضيل الأولاد بعضهم على بعض لا يستطيع الأب أن يفعلها.

ولكن في مجال التحصين الفكري والثقافي أرى لى كتبها أهميتها منها قديمة ومنها حديثة صدرت خلال السنوات الأخيرة.

من الكتب القديمة: كتابي: «الإيمان والحياة» ويعمل على ترسيخ منطلق الإيمان من منطلق عقلي ونفسي وحيوي، يتصل بالحياة. ولا يكتفى بقال الله وقال الرسول. وهو مهم لترسيخ العقيدة.

ومنها «الخصائص العامة للإسلام» وأرى هذا الكتاب مهما، لأنه يوضح

المزايا الكبرى للدين المبين فى عقيدته . وشريعته ومنهاجه وعبادته من الربانية والإنسانية والإخلاقية والواقعية والوسطية . إلى آخر هذه الخصائص .

ومن الكتب الجديدة :

« الثقافة العربية الإسلامية بين الإصالة والمعاصرة » . ومنها كتبى فى ترشيد

الصحوة :

« الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف » ، « الصحوة الإسلامية بين

الاختلاف المشروع والتفرق المذموم » ، « الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى » .

وهناك كتب ظهرت أيضا بعد ذلك فى المدة الأخيرة :

« أولويات الحركة الإسلامية » ، و« فقه الأولويات » ، و« عوامل السعة والمرونة

فى الشريعة الإسلامية » . و« كيف نتعامل مع السنة النبوية » ، و« كيف نتعامل مع القرآن العظيم » وهو أحدث كتبى .

وهناك سلسلة أحب أيضا أن تأخذ حظها، وهى تتحدث عن التصوف

الإسلامى، ولكن بالمنهج الوسطى . وتعلم أننى أتبنى المنهج الوسطى فى كل ما أكتب أو ما أتحدث به أو أفتى به . لست مع المتسيبين ولا مع المتزمتين . أرجو أن

أكون من هذه الأمة الوسط . ومن قال عنهم سيدنا على رضى الله عنه : عليكم

بالنمط الأوسط الذى يلحق به التالى ويرد إليه الغالى، أريد أن أكون من هذا النمط الأوسط، كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانَ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٧ - ٩] .

فى ضوء هذا المنهج الوسطى أصدرت سلسلة فى تيسير فقه السلوك تحت

عنوان : « فى الطريق إلى الله » صدر منها أربعة كتب :

الأول : الحياة الربانية والعلم . لا أذكر كلمة تصوف، لأن بعض الناس ما إن

يسمع هذه الكلمة حتى يترك الكتاب ويهجره، وأنا أريد أن يقرأه، فأطلقت اسم

الحياة الربانية .

الثانى : النية والإخلاص .

الثالث : التوكل على الله .

الرابع : التوبة إلى الله ، وظهر قبل أشهر . وأنا مستمر فى هذه السلسلة .

بالمناسبة ذكرت فى كتابى : « كيف نتعامل مع القرآن العظيم » أن هذا هو

قرآن المسلمين جميعا سنة وشيعة .

تعرف أن هناك من يقول إن الشيعة عندهم مصحف آخر هو مصحف

فاطمة وأمثال ذلك . أنا قلت : هذا هو المصحف الذى يقرأه المسلمون جميعا ، لا

نرى عند الشيعة فى إيران والعراق وفى سائر العالم الإسلامى مصحفاً غير

هذا المصحف ، فهو الذى يحفظونه لأولادهم ، والذى يقرأون به فى صلاتهم ،

وهو الذى يعلمون به فى التليفزيون ، وهو الذى يفسره مفسروهم وهو الذى

يستدلون به فى كتب الفقه ، ويستدلون به فى كتب العقائد . لا يوجد غير هذا

المصحف .

وعندى رسائل أصدرت منها تسع رسائل إسمها رسائل ترشيد الصحوة

تتحدث عن بعض الأمور أراها هامة . بعضها انتزعتها من كتبى وأضفت لها

بعض الإضافات مثل : كتاب الدين فى عصر العلم ، وكتاب الإسلام والفن ، ومركز

المرأة فى الحياة الإسلامية ، والمبشرات بانتصار الإسلام ، وآخر رسالة تطبع الآن هى :

القدس قضية كل مسلم .

ونسيت كتابا مهما وهو : « ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده » .

وتصلنى أسئلة فقهية فأجيب عليها إجابات استدلالية ، فيشكل كل

جواب بحثا فقهيا ، وصارت هذه البحوث كتابين ، وأنا بصدد إعداد الكتاب

الثالث تحت عنوان : « فتاوى معاصرة » .

* سألت فضيلته : على أى مذهب؟

– قال ضاحكاً : على مذهب الشيخ القرضاوى ثم قال : أنا مذهبي حنفى ،

وهو المذهب الذى درسته فى الأزهر ثم درست المذاهب فأصبحت حين أسأل عن مذهبي أقول: حنفشعئى .

ولا بأس أن أذكر لك قصة لطيفة حصلت لى سجلتها فى الجزء الأول من كتاب: فتاوى معاصرة .

حينما كنت طالبا فى القسم الثانوى كنت أدرس الفقه لأبناء قريننا، فقه العبادات . وقريننا شافعية المذهب . معظم الريف فى الوجه البحرى من مصر على المذهب الشافعى . وجرت العادة عند مشايخنا أن يدرّسوا الفقه فى قريننا على المذهب الشافعى . حتى من كان منهم على المذهب الحنفى يدرّس الناس على المذهب الشافعى لأنه مذهب أهل القرية .

كنت آنئذ متصلا بالإخوان المسلمين، وقرأت كتبا خارج المذاهب وتأثرت بهذه القضية، فكنت أدرّس الفقه على المذهب الشافعى ولكنى كنت أذكر آراء المذاهب الأخرى .

ثمة رأى فى الفقه الشافعى يقول: لمس المرأة ينقض الوضوء إذا لم تكن محرما، البنت والام لا تنقض، أما الزوجة فتنقض الوضوء . وهذه القضية كانت تحدث فى الريف المصرى مشكلة وخاصة فى فصل الشتاء حيث الجو بارد والماء بارد الرجل يتوضأ ويذهب فيصلى المغرب ويعود إلى البيت ليتعشى، فتناوله امرأته العشاء، وقد تخطئ فتلمسه . آه لقد نقضت وضوئى .. فيحدث شجار وتقوم معركة .. وكنت أقول لأهل القرية: إن مجرد لمس المرأة لا ينقض الوضوء خاصة إذا لم يكن عن شهوة .

مرة حدثت فى عائلة هذه المشكلة، لمست المرأة يد الرجل، وأوشك أن يحدث شجار، فقالت له امرأته: زعلان ليه .. صلّ على مذهب الشيخ يوسف . كنت آنئذ فى السنة الأولى ثانوية .. والحمد لله ربّ العالمين .

* * *

الحياة ورد وشوك حوار حول قضايا الزواج والأسرة

أجرته: ذكرى والى (١)

- عندما يريد الإنسان الزواج، عليه أن يفتح عينيه واسعتين قبله، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج، كما يقول أحد الحكماء.

هكذا أجاب فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى، الداعية الإسلامى المعروف على سؤال لـ (مودة) طرحته على فضيلته خلال لقاء خص به المجلة حول موضوع اختيار شريك الحياة.

ومن أجل أن يضى لنا دروب المعرفة، وينصح طالبى الرشد مستشهداً بعصور الإسلام الزاهرة، وابتداءً بعصر الرسول ﷺ، وصولاً إلى عصر خلفائه وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين، أجاب فضيلته على أسئلتنا الهادفة إلى معرفة سبل تحقيق الاستقرار فى بيت الزوجية العامر بالإيمان، والطهارة، والود، ليكون هذا الحوار ..

● مودة

فى البدء، هل لنا أن نتساءل عما ورد فى مناهلنا الأولى، وتحديدًا القرآن والسنة، عن اختيار شريك الحياة وسكن الروح؟

د. القرضاوى:

اهتم القرآن وهو المصدر الأول لشريعتنا، واهتمت السنة وهى المصدر الثانى المبيِّن لقضية حسن اختيار الزوج، بهذا الموضوع. وكلمة الزوج فى اللغة العربية. وفى لغة القرآن والسنة تعنى: شريك الحياة سواء أكان رجلاً أو امرأة. قال تعالى:

(١) نشرته مجلة (مودة) التى تصدر من (أبو ظبى) فى دولة الإمارات العربية المتحدة.

﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿ يُفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] فحسن الاختيار أمر مطلوب إسلامياً أما أساسه فهو الصلاح، إذ ينبغي أن تختار المرأة ويختار معها أهلها الرجل الصالح، كما علي الرجل أن يختار شريكة صالحة وفي ذكر الله نجد: ﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامِيَّ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

وهنا نرى أنه من الأجدر ألا يركز الناس على قضية المال والثروة. فالثروة تنتقل، والمال يتحول، والغنى قد يفتقر، والفقير قد يغتني، والموسر قد يعسر، والمعسر قد يأتيه اليسر. إذ قال الله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦] لذلك نجد أن القرآن حينما أمرنا بتزويج الصالحين من عباد الله. قال: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: ٣٢] وهذا يعبر عنه المثل الشائع عند المسلمين: « خذوهم فقراء يغنيهم الله ».

وهكذا يتجلى لنا تأثير الفكر والعلم الإسلامى على الجماهير المسلمة حيث أن العبرة بصلاح الشخص وليس بماله، إذ يقول النبي ﷺ فى ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر: « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ويقول عليه الصلاة والسلام: « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الثانى ». وعلى تركيزنا أن يكون موجهاً نحو المرأة الصالحة، ومعنى الصلاح فى المرأة هو الدين والخلق.

وفى الرجل جاء الحديث المعروف: « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض ». وفى المرأة يقول النبي ﷺ: « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله »، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

اللَّهُ ﴿ [النساء: ٣٤] وهذا لا يعنى ألا يبالي الإنسان بالمقاييس الأخرى، وإنما المهم هو أن يجعل الدين أولاً.

فلا مانع أن يبحث عنها جميلة حتى تسره إذا نظر لكى لا ترنو عينه إلى غيرها. ولا بأس إن كانت على قدر من الذكاء لتجاربه، كما لا مانع أن يبحث عن أصلها وحسبها ونسبها، ولا مانع حتى أن يكون معها مال.

ويدعم الحديث الشريف هذا القول: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» أى اجعل الدين هو معيارك الأول واطفر به واشدد يدك عليه، فإنها إذا كانت ذات دين فإن كل شئ سيكون هيناً بعد ذلك.

وترى الناس يبحثون عن صاحب الدين فى المقام الأول ويقولون: إذا زوجت ابنتك فزوجها ذا دين، إذا أحببها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها، ويقول عز من قائل: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]، ويقول الرسول ﷺ: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»: فترى حرص الأوائل على ذى الدين يصل أن يرفض أحدهم أن يزوج ابنته لولى عهد المسلمين، ابن الخليفة. كان هذا موقف سيد التابعين الفقيه الإمام سعيد ابن المسيب، إذ بعث إليه الخليفة يخطب إليه ابنته فاعتذر ورفض، ثم زوجها لأحد تلاميذه ممن لا يملك شيئاً، لأنه أراد أن يزوجها إنساناً يطمئن إلى دينه وخلقه.

● مودة

إذا كان الشرع قد حدد منذ البدء مقاييس الاختيار التى على رأسها كان الدين، فهل تعتبرون أن هذه المقاييس قد تغيرت فى عصرنا هذا، أو فترت بقدر الفتور الذى طرأ على تمسكنا بعقيدتنا وتعاليم ديننا؟

د. القرضاوى:

إذا ما كان المجتمع الإسلامى، فى العهد الأول، يرفض الزواج الذى تصحبه

الشهرة، والجاه، والنفوذ، والخلافة، ويزوج الأب ابنته من طالب علم فقير، فهل احتفظنا بهذه المقاييس إلى الآن؟!

قطعاً تغيرت النفوس، وتبدلت القيم بتأثيرات وافدة علينا ومنها رواسب عصور التراجع والهزيمة خلال العصور الإسلامية الأخيرة التي انحرف معها المسلمون عن الإسلام الصحيح، ودخلت عليهم مؤثرات شتى، ولم يعد الدين حاكمهم، فتعسر عليهم فهمه، وضعف تطبيقه.

ثم جاءت التأثيرات المادية الحديثة، بما تشمله من قيم مادية سرت بتأثير أقوى من قبل الحضارة الغربية. حتى أصبح همّ الناس المادة قبل كل شئ والمظاهر البراقة. فاختلفت المعايير الدينية. والمقاييس الأخلاقية التي كان يقاس بها من يريد الإنسان الزواج به.

وفى المقابل علينا أن نعترف أن البلاد الإسلامية تشهد الآن صحوة شملت الكثيرين من الشباب. والكثيرات من الفتيات، فأصبح الإسلام - والله الحمد - حياً في كثير من الضمائر. والقلوب. والنفوس. بل أصبح هو المؤثر والموجه الأول لحياة الكثيرين والكثيرات، وعادت هذه التعاليم الدينية لتحيا في النفوس وفى المجتمع من جديد، وعلينا نحن أن نسقى هذا الزرع ونتعهد بالرعاية حتى يؤتى أكله ويثمر ثمرته إن شاء الله.

● مودة

الاختيار للزواج، باعتقاد فضيلتكم، هل هو اختيار فردى أم جماعى؟ وفى حال اشتراك المجموعة فى الاختيار من يتحمّل المسؤولية فى النهاية؟
د. القرضاوى:

يربى الإسلام المسلم على الشورى فى كل شئ، وفى الحديث: «ما خاب من استخار». يعنى إذا أراد الإنسان أن يوفق فى أمر ذى بال، يحسن به أن يستخير الله ويستشير الناس. واستخارة الله تكون بالصلاة ركعتين، والدعاء أن يهديه الله إلى أفضل الأمرين.

هذه سبيل، والسبيل الثانية أن يستشير من يرى فيه حسن الرأي والحكمة ومن يحب له الخير، فلا يستشير عدوًّا، ولا حسودًا، ولا حقودًا، لذلك يحضّر الإسلام على أن يتم الزواج بتراضى كلٍّ من يهتمهم الأمر. ولا ينبغي على الرجل أن يزوّج ابنته رغماً عنها ولا بد أن يكون ذلك برضاها. وقد رد النبي ﷺ بعض حالات الزواج التي لم تكن برضى الفتاة. بل قال: «أمروا النساء فى بناتهن» أى إذا أراد الأب أن يزوّج ابنته فلا بد أن يستشير أمّها، لأن الأم أخبر بابنتها من أبيها، وقد تتجرأ البنت على أن تصارح أمّها ولكنها لا يمكن أن تفعل ذلك مع أبيها، كما يمكن للأب أن يستشير إختها الذكور، لأن الزواج ليس علاقة بين فرد وفرد. ولكنه مصاهرة ويقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقا: ٥٤].

فالنسب رابطة دم. ومصاهرة عن طريق الزواج، وعندما يتزوج الشخص امرأة فإنه لا يتزوجها فقط. لأن أمّها ستكون حماة له وجدة لأولاده، وأبائها سيكونون حمى له وجداً لهم أيضاً وإخواتها سيكونون أخوالهم، وأخواتها خالاتهم، وهكذا تحولت العلاقة إلى لحمة ورابطة وشيعة، ومن أجل هذا لا بد أن تتم المشاورة، حتى يكون الجميع مسروراً بهذه الزيجة، ومقبلاً عليها وفرحاً بها، وحينما تأتي العروس، تجد الترحيب من الجميع، وتجد أرضاً تحملها، وصدوراً مفتوحة لها، وقلوباً تهفو لحبّها. وهذا هو المطلوب فى الزواج الإسلامى.

● مودة

إن دور الأم فى بناء أجيال صاعدة نافعة للوطن والأمة العربية الإسلامية أساسى، فكيف تتشكل الرؤية القائلة: إن مسؤولية تربية الأبناء تبدأ من ساعة اختيار أمهم؟

د. القرضاوى:

لا شك أنه من أولى أوجه المعروف التى يمكن أن يصنعها الأب تجاه أولاده.

أن يختار لهم الأم الصالحة وهذا ما جاء فى الحديث : « يتخير أمًا لأولاده لأنهم يرثون منها كما يرثون منه، ويتأثرون بها كما يتأثرون به . وعنها قال شاعر النيل، حافظ إبراهيم :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
وحينما امتنّ الشاعر العربى قديماً على أولاده، قال لهم :

وأولّ إحسانى إليكم تخيرى لما جدة الأعراق بادِ عفافها

فالوعاء الصالح مطلوب ومهمة الأب أن يختار الأم الصالحة، ومهمة المرأة أن تختار لأولادها الأب الصالح، إذ هى مسؤولة مشتركة بين الرجل والمرأة، وعلى كل منهما أن يحسن اختيار الشريك الذى يكون نعم المحضن والمربى لأولاده .

● مودة

تعاليم الإسلام واضحة البيان فى أمور ديننا ودنيانا وبالخصوص فيما جاء منها مخصصاً للنكاح، كالخطبة، والصداق، والقران، ومن ثم آداب المعاملات الزوجية . ولكن ومع تيسير ديننا لكل هذه المعاملات إلا أن مسaire العصر دفعتنا لتعسيها فيصبح مشروع النكاح عبثاً مادياً ومعنوياً يفكر الشاب ألف مرة قبل الإقدام عليه، إذ ارتفعت المهمور، وبلغت تكاليف الزفاف حدًا لا يمكن أن يتوقعه خيال .. فما رأى فضيلتكم فى هذه المشاهدات ؟

د . القرضاوى :

يسرّ الشرع أموراً كثيرة بينما نعسرّها نحن، والتقاليد زادت فى تعقيدها، خصوصاً مع وجود نوعين من التقاليد : بالية موروثه وليست من الدين فى شىء، وتقاليد غازية وافدة، ولكن كلا النوعين قد أثر فى حياتنا وعقدّها، والدين براءً، بل يوصى بأن يكون الزواج أمراً سهلاً ميسوراً بأقلّ ما يمكن من المهر، وأيسر ما يكون من التكاليف، ولكن الناس عسّروا على أنفسهم فأغلوا فى المهور مع أن الحديث يقول : « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة »، وزوّج النبى ﷺ نساءه

بأقل ما يمكن من المهور حتى أن مهر فاطمة الزهراء رضی الله عنها، كان درعاً من على واسمه الحُطْمِيَّة. وكان في ذلك أبلغ رمز للمقبلين على الزواج.

وفي هذه الأيام لم يقف الأمر عند المهر، ولكننا اخترعنا كذلك الولايم للخطبة أو «الشبكة» وللعقد أو «الملكة»، وللزفاف أى عند الدخول، وكل ذلك يتم بالفنادق الباهظة التي تكلف عشرات الآلاف، كما ابتدع الناس شيئاً آخر يسمى شهر العسل، ممثلاً في سفرة، وللسفر تكاليفه من تذاكر وفنادق ونزهات، وهذه كلها مصاريف أرهق الناس بها أنفسهم وكلفوها شططاً ما أنزل الله به من سلطان، إضافة إلى هدايا الزواج التي يعطى بعضها للعروس ولا ينتفع الناس بها، وتكاليف تأثيث منزل الزوجية، والخير كله في التبسيط والتيسير «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»، هكذا علمنا النبي ﷺ، الذي دخل على بعض نسائه ببعض الفريك والسويق.

ولهذا كله، تعد فكرة الزواج الجماعي جيدة، حيث تيسر على العديد من الشباب تكاليف هذه الولايم.

علينا أن نعود إلى يناييعنا الصافية لنستقى منها ما يفيدنا في حياة الفرد والأسرة والجماعة:

● مودة

الاختيار قرار، والقرار تفكير عميق نقصد به عاقدين العزم على مشاركة أحدهم، أو إحداهن، العمر والمسكن وحتى الاسم، فهل يمكن لهذا القرار القصدى الواعي القائم على إدراك وإيمان أن يكون مبنياً على خدعة ملبس، أو مظهر، أو حسب، أو نسب؟ وماذا تتوقعون أن يكون مستقبل مثل هذا الاختيار؟

د. القرضاوى:

الاختيار يدل على ثقافة الشخص ووعيه، أما إذا أردنا أن نغير هذه المقاييس المقلوبة والموازن السيئة، علينا أن نغير من وعى الإنسان وثقافته. فإذا تغير وعيه

وأصبح يدرك الخير من الشر، والحسن من القبيح، وما ينبغي وما لا ينبغي، عندها يستطيع أن يدرك مَنْ يختار، سواء بالنسبة للفتى أو للفتاة، إذ يمكن أن يعجبها المظهر، فتنسى الجوهر، ويعجبها الشكل فتنسى المضمون.

والقرآن يقول واصفاً المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:

٤] والحديث يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، والعرب يقولون: «ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدّخل»، ونحن نستشهد بكل ذلك حتى نوعى شبابنا وشاباتنا بهذه المعانى والقيم ليحسنوا الاختيار لأنفسهم ومستقبلهم.

● مودة

لفضيلتكم، جهوداً إعلامية لافتة للنظر، وحضور بارز فى العديد من القنوات الفضائية العربية، الأمر الذى جعل منكم صديقا للأسرة المسلمة التى تتوجه إليه بمشكلاتها وهمومها وتساؤلاتها.

من خلال هذه العلاقة الحميمة مع وسائل الإعلام، ومع الجمهور على حد سواء، كيف تقيمون دور الأولى فى رفع درجة الوعى لدى الجمهور، وما تعليقاتكم على تجاوب جمهورنا مع مثل هذا الإعلام الملتزم؟

د. القرضاوى:

لا شك أن لوسائل الإعلام دوراً هاماً وخطيراً. خصوصاً وأنها أصبحت الآن تدخل كل بيت، وتخاطب كل فرد وتؤثر بالصوت والصورة. وتحسن الترغيب والترهيب، ومع عصر القنوات الفضائية غدت مسؤولياتها أكبر.

وفى الواقع على مثل هذه الأجهزة الإعلامية أن تتحمل هذا العبء: عبء التوجيه والترشيد، والمقصود: ترشيد المسيرة، والتنبيه إلى المخاطر، والتعريف بالأشياء قبل أن تقع، ويوجد دائماً العلاج كما توجد الوقاية، ولكن علينا أن نهتم بالوقاية قبل العلاج حتى لا نقع فى أودية الهلاك، ثم نحاول الخروج منها.

وعلى وسائل الإعلام أيضاً أن تنبه المجتمع، وخصوصاً الشباب منه، إلى المخاطر والمحاذير، وتضئ الإشارات الحمراء في الطريق حتى لا يرتكبوا الأخطاء التي يندمون عليها لاحقاً.

وأعتقد أن كثيراً من القنوات والمحطات تقوم بذلك على تفاوت فيما بينها، والواجب عليها أن تزداد إصراراً على هذا التوجّه، بل تأتي مجدداً بالنصحاء والموجهين الأصلاء الذين يحسنون توجيه الجمهور إلى ما يتوجب عليهم فعله، وينبغي أن يكون الدين وخصوصاً ديننا الإسلامى وراء ذلك كله، فالناس لا زالوا أطوع لتوجيهات الدين، ومجتمعنا فى غالبته متدين بفطرته، وصوت الدين مسموع ولواؤه مرفوع، وفى جانب الأسرة بالذات.

هكذا على الدين أن يكون: الموجه والمحرك الأول لجماهيرنا العريضة فى هذا الجانب الخطير من حياتنا الاجتماعية.

على الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كلاً فى كفة ويرجح:

● مودة:

أوضح استطلاع للرأى قامت به مودة حول أسس الاختيار، أن الشاب يريد الملتزمة بأمر دينها، وفى المقابل تفضل الفتاة الزواج من المتدين والخلوق، غير أن المفاجأة هى ازدياد حالات الطلاق على مستوى الخليج بعامة، وانهيارات فاجعة لأسرنا التى ما أن تتشكل حتى تبدأ فى الإنهيار.

والسؤال هو: هل ثمة فرق بين النظرية والتطبيق؟ أم أننا بحاجة إلى إعادة النظر فى مجمل خطابنا التربوى، والاجتماعى، والإعلامى؟

د. القرضاوى:

لا بد أن هناك أناساً ليس الدين هو محركهم الأول، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلنتساءل للحظة: ما هو الدين؟!!

هناك من يسيء فهمه . ويُذكر أن رجلاً جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب منه أمراً . فقال له عمر: « أئتنى بمن يشهد لك ، فقال أحدهم أنا أشهد أن هذا رجل صالح ، قال : هل أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا . قال : هل عاشرتة فى السفر الذى يُسفر عن أخلاق الرجال ؟ قال : لا . قال : هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعرف به حرص الإنسان من ورعه ؟ قال : لا . قال : لعلك رأيتة فى المسجد ، يهمهم بالقرآن ، فيرفع رأسه تارة ، ويخفض رأسه أخرى ؟ قال : نعم ، قال : إذن لست تعرفه قال : اذهب وأئتنى بمن يعرفه . »

ومن هنا نستشف أن المهم هو الجوهر، إذ نعتبر أحياناً الشخص ديناً لأنه ذو لحية طويلة أو ثوب قصير ولكننا نخطئ باعتقادنا هذا لأنه ليس هذا الدين ولا هذا هو المتدين والحديث يقول « خلقه ودينه » يعنى ليس أن يكون مصلياً فقط، وإنما أن يكون ذا خلق أو ذا طباع حميدة وخصال كريمة، إنساناً لا يكذب إذا حدث ولا يخلف إذا وعد، ولا يفجر إذا خاصم، وهى مجموعة خصال المؤمنين .

وأنا أشك فى من يقولون : اخترنا ذا دين ثم يفشلون . فإما أنهم لم يفهموا الدين كما ينبغى ، أو كان الشخص منافقاً . يظهر باسم الدين وهو بعيد عنه ، أو أنهم لم يحسنوا المعاشة ، والتى من أصولها أن يعرف الزوج مبادئ العشرة الزوجية ، وحقوق الزوجة عليه ، وهى أيضا لا بد أن تعرف ذلك والله تعالى يقول : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

أو قد يكون الرجل ديناً لكن أهله يساعدونه على بغضه لها ، أو بغضها له ، وهنا يظهر تدخل الآخرين المدمر . أو لعله يكون متأثراً بما فى المجتمع ، أو من خلال تقاليد مجتمعات أخرى ، وينطبق القول على المرأة أيضاً . والمهم أن يعى الطرفان أن الحياة الزوجية مسئولية . وعلى كل من الزوجين أن يصبر على صاحبه وأن يحتمله .

وعلى الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه، فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كلاً في كفة ويرجع.

والحياة ليست ورداً خالصاً ولكنها ورد مع شك، وسراء مع ضراء، وسلبيات مع إيجابيات، بل هي خلاصة لكل ذلك، أما الانسان الذي يخلق في سماء المثاليات، وبحلم بأشياء وهمية فإنه لن يستطيع أن ينجح في حياته الزوجية مهما حاول.

من محررنا وموجهنا غير الدين !؟

● مودة

في حلقة جريئة وغير مسبوقه من برنامج حوارى مباشر لكم مع إحدى القنوات الفضائية العربية، ثم تناول قضايا عميقة جداً وبالغة الخصوصية في ما يتعلق بالحياة الزوجية وأسرارها، وفتح الباب للحديث عن الحدود التي رسمها الشرع للتعاطي مع هذه العلاقة.

والسؤال هو: ما دور مثل هذه الموضوعات في إعداد المقبلين على الزواج، وكيف يمكن لنا التعامل معها بوعى وحكمة حرصاً على مستقبل العلاقات الزوجية؟

د. القرضاوى:

هذه أمور لا بد أن نلامسها بالحكمة والرفق، وعلى وفق توجيهات الشريعة الإسلامية: فالقرآن والسنة ذكرنا هذه العلاقات الحسبية بين الزوجين، إذ يقول تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقد ورد في الحديث عن الصيام، وآدابه، وأشكال السمو الروحى: ﴿ أَهْلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

[البقرة: ١٨٧]

إذن، هي أمور طبيعية ويجب أن تعطى حقها فى جو من الايجابية والجدية

بعيداً عن جو الاستهتار، وعلينا أن نوعى الأزواج، ونربى الأولاد على هذه الناحية تربية قائمة على العلم الصحيح والدين الحق. وقد تحدث المسلمون قديماً عن كل هذه المواضع، وهم يتطرقون إلى فرائض الوضوء، وموجبات الغسل، وتفسير القرآن، وشرح الأحاديث، كما أذكر لكم أن لأخينا الأستاذ عبد الحلیم أبو شوقة رحمه الله كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» وهو مؤلف من ستة أجزاء، خصص الجزء السادس منه للثقافة والتربية الجنسية، ومن خلال رافدكم الإعلامى هذا، أنصح بقراءة هذا الكتاب كله، وخصوصاً الجزء السادس منه، فالكتاب فى مجمله قائم على النصوص الإسلامية من كتاب الله، إلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وكن يبدو أنه مرت علينا حقبة من الزمن أوصدنا من خلالها الأبواب على مثل هذه المواضيع، ففسحنا، دون أن نقصد، المجال أمام أبنائنا وبناتنا ليستقوا ثقافتهم - وخصوصاً - عن هذه الناحية الخطيرة، من أصدقاء السوء ومصادر لا نعلم حقيقتها، فساءت النتائج والأولى بنا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقى منها ما يفيدنا حول هذه النواحي المهمة فى حياة الفرد، والأسرة والجماعة.

* * *